السيرة الذاتية لفضيلة الوالد الشيخ /

الشيخ الهمام الفقيه الأصولي، الداعية إلى الله، صاحب الصوت الرقيق، والقلب الخاشع، واللسان الذاكر، والوجه البشوش، أحد أفراد العالم، وحسنات الزمان فما يختلف في ذلك اثنان، رفع الله ذكره في كل مكان، ودارت بأحاديثه وخطبه الركبان، بقية السلف في الزهد والإخلاص وحسن البيان الشيخ الجليل. والداعية النبيل، والعالم النحرير:

أبو عبد الرحمن / محمد صفوت بن نور الدين أحمد مرسي. ■

ولد رحمه الله في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين في شهر يونيه وذلك في قرية الملايقة إحدى القرى التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية في مصر.

في أسرة عريقة محبة للسنة، ووالده هو الشيخ نور الدين- حفظه الله- أحد دعائم السنة ومن الغيورين عليها، وكان يرأس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية ببلبيس وكان يعمل مدرسًا حازمًا يهابه الكبير قبل الصغير، فتعلم من أبيه الكثير.

وفي هذه البقعة الطيبة ترعرع الشيخ حتى نضج واستوى عوده ودخل كلية التربية عن حب لمادة العلوم والكيمياء التي كان يستخدم معلوماته فيها أحيانا بعد ذلك في الدعوة إلى الله تعالى.

وفي البقعة نفسها كان يلازم أول مشايخه الذين تربى وتتلمذ على أيديهم وهو الشيخ عبد الله أحمد مرسي وهو عمه ووالد زوجه وهو أول من بدأ دعوة التوحيد في قريته ومنها كانت انطلاقة الدعوة لتعم القرى التي حولها، ثم إلى محافظة الشرقية ومدنها، وكان للشيخ عبد الله أكبر الأثر في توجيه وتكوين شخصيته فلازمه وصاحبه فترة طويلة من الزمن وكان الشيخ عبد الله يستقطب علماء السنة إلى هذه القرية من أمثال المشايخ: عبد الرحمن الوكيل، ومحمد خليل هراس، ورشاد الشافعي وغيرهم وسط طوفان الجهل الجارف، والبدعة المتمكنة من النفوس.

فلاقى عنتًا ومشقة حتى علّم الناس الدعوة الحق ولطالما ذكر الشيخ وفاة شيخه وما كتب الله له من حسن الخاتمة حيث كان على فراش الموت وهو في النزع الأخير يقرأ قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ثم قال: إن هذا اليوم يوم عظيم يفرح فيه المؤمن. وختم الله صحيفته بهذه الكلمة المباركة وإنها لمن البشريات.

ولأنه في هذه الفترة التي مرت بها الأمة من ضياع العلم، وانتشار الجهل وفشو البدع سلك الشيخ مسلكًا علميًا يؤصل من خلاله ويسير به على درب الدعوة، فكان يرحل إلى

Upload by: altawhedmag.com

محمد صفوت نور الدين -رحمه الله-

بقلم / أحمد بن سليمان

العلماء مع ندرتهم، وكلما ألمّت به مسألة أو استعصت عليه معضلة فزع إليهم ونهل من علمهم فكان كثير الملازمة لشيخه الشيخ/ محمد خليل الهراس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل وكان أستاذه في علم الحديث الشيخ/ محمد نجيب المطيعي صاحب تتمة كتاب المجموع.

وسافر الشيخ إلى ليبيا في إعارة وذلك في أوائل السبعينيات ومكث أربع سنوات، ثم أحس أن الدعوة في مصر بحاجة لمن يقوم بها فرفض المكث أكثر من هذا وعاد إلى مصر فارسًا من فرسان الدعوة.

وهكذا بدأ مع العلم والعلماء وسار على هذا الدرب لا تمر عليه ساعة إلا وهو يدرس مسألة أو يكتب بحثًا أو يجيب على فتوى فلا تخلو ساعة من أوقاته من عمل صالح.

وبينما هو يرتفع يومًا بعد يوم في المقام العلمي والدعوي إذ يلحظ من يلازمه أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه جاهل قليل العلم فربما عرض بحثا كتبه على تلميذ له ليدقق فيه وهو بكل تواضع شغوف إلى ما يستدركه عليه فلا يضجر من استدراك أو إضافة حتى ولو كانت من تلاميذ تلاميذه ولهذا رفعه الله كما قال عليه الصلاة والسلام «... ومن تواضع لله رفعه...».

وعند عودته من ليبيا اهتم بشئون الدعوة ومشكلات الفروع فما يسمع بمشكلة في فرع إلا سافر ليحلها، ويذكر من عاصر هذه الفترة أن بعض الفروع فشا فيهم (بدعة تكذيب الأحاديث) أو تحكيم العقل في النص؛ فتصدى لذلك -رحمه الله- وألقى عدة محاضرات حتى كشف الله الغمة ورجع معظم الناس إلى الصواب.

مكابدته لتحمل مشاق الدعوة إلى الله

كنا نشفق عليه كثيرًا من عمله الدؤوب في الدعوة إلى الله تعالى لا يستريح يومًا من محاضرة، ولا يغلق بابه أو هاتفه دون أحد يلتمس منه معونة في دين أو دنيا، ولا يرد سائلا أراد التعلم والاستفادة منه، فربما مر عليه نصف النهار وهو لم يتناول إفطاره، وقد يتناول غداءه بعد العشاء.

وأحيانا يجلس على الطعام فتأتيه الفتاوى والاستفسارات عبر الهاتف وربما طرق أحدهم الباب فيخرج لملاقاته فتمر الأوقات الطويلة حتى يمل أهل البيت ثم ترفع المائدة ولم يستكمل طعامه...! بالله من يستطيع ذلك؟ اللهم إلا من رزق الإخلاص في القول والعمل.

والله كم حرم أهله منه لخروجه المتتابع في الدعوة إلى الله فكان يأتي من عمله - وكان يعمل مدرسًا ثم مديرًا للمدرسة الثانوية - فيذهب إلى البيت كي يستعد لمحاضرة في أحد البلاد النائية لا يستريح من عناء العمل، ولو دقائق، ثم يخرج يركب القطار وهو أقل وسيلة للانتقال في مؤنته وتكلفته فقد كان فقيرًا، ومع ذلك ينفق من ماله

Upload by: altawhedmag.com

وهو في أشد الحاجة إليه فهو كما قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وهكذا كل يوم، لا يستريح يومًا، ولا يفتر ساعة من نهاره، بل عمل واجتهاد وإنفاق للوقت والمال. وكأنه والله خلق للدعوة ونشرها، واصطفاه الله لنشر رسالته وبثها. فكم مرض من أجلها، وفارق أهله وأحبابه لبقائها، ولو نظرت إلى وظائف يومه لرأيت العجب العجاب، يستيقظ قبل الفجر يقرأ تفسيرًا لآية أو حديث ثم ينطلق إلى بيت من بيوت الله يلقي محاضرة قد تطول في بعض الأيام إلى شروق الشمس، وربما يبعد المسجد فيطوي المسافات على قدميه وهو يهرول إدراكًا للصلاة ثم يعود إلى بيته، ليستريح برهة من الوقت وربما دق الهاتف أثناء ذلك فلا يغمض له جفن، ثم يقوم إلى مكتبته ليبحث مسألة أو يكتب مقالاً أو يراجع بحثًا ثم ينطلق قبيل العصر وأحيانًا الظهر إلى محاضرة ربما كانت في أقصى مشارق البلاد أو مغاربها وربما جُمِعتْ له محاضرتان بعد العصر وبعد المغرب!! فمن ذلك كان يرحل يوم الإثنين الثالث من كل شهر فيلقي محاضرة في دسوق بعد العصر بعد أن يقطع مسافة تقرب من ثلاث ساعات بالسيارة ثم منها إلى كفر الشيخ ليلقي محاضرة بعد المغرب ويعود إلى بيته في منتصف الليل وبعد كل ذلك يقوم قبيل الفجر ليعيد الكرة مرة أخرى!!

وهكذا ظل يعمل في الدعوة أكثر من خمسة وثلاثين عامًا بهذه الهمة وهذا النشاط.

فانظر كم لاقى من المشاق كل يوم، وكم تجرأ عليه سفيه وغمزه طويلب متعالم، أو حقود جاهل.

فلله دره كم لاقى في سبيل الدعوة.

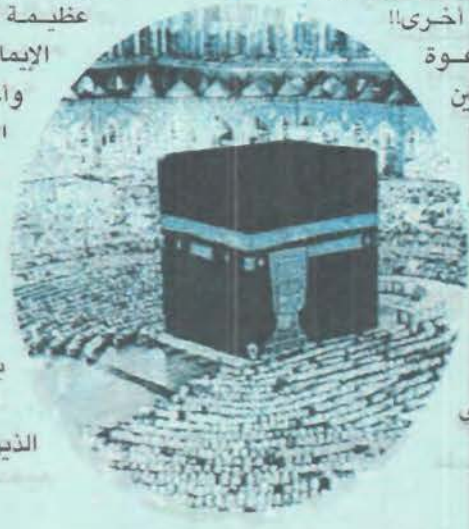

ويحكي لي أنه ذهب يومًا لإلقاء محاضرة بدلا من أحد الدعاة المشاهير- والشيخ في أول طريق الدعوة- فما أن جلس الشيخ إذ بالحضور نفروا والمسجلات رفعت وهو ينظر إلى ذلك بكل ثبات وحلم فما اهتز ولا تلعثم ولا غضب فجلس وفتح الله عليه في هذه المحاضرة، وهذا من ثمار الإخلاص لله عز وجل.

ما خلفه من تراث

الشيخ - رحمه الله - لم يتحفنا بمصنفات في فروع المعرفة، وذلك لأسباب من أهمها أن الشيخ كان يزدري نفسه ولا يرى أنه أهل لذلك وربما كتب بعض تلامذته أضعاف ما كتب وهو لم يتأهل لذلك! فشتان بين من يُخمل ذكره وهو وجيه، ومن يُعلي قدره وهو وضيع.

ولكن الشيخ ترك لنا تراثًا ضخما من مقالاته وأبحاثه في مجلة التوحيد من خلال الافتتاحية، وباب السنة، مع كم هائل من خطبه ومحاضراته التي طاف بها في شتى بقاع الأرض؛ كم من ضال اهتدى بها، وعاص تاب بعدها، ومريض شفى بسماعها وطالب علم استقام بها، وجاهل استضاء بنورها.

فوالله ما علمنا طريق الهداية إلا لما جلسنا بين يديه فكان أول من فتح قلوبنا وآذاننا لسماعه، فكان ملء العين والسمع والفؤاد.

ثم إن للشيخ عدة أبحاث قليلة المبنى عظيمة المعنى كرسالة موقف أهل الإيمان من صفات عباد الرحمن وأخرى بعنوان التربية بين الأصالة والتجديد، وأيضًا المسجد الأقصى ودعوة الرسل، وغير ذلك الكثير.

وأحيانا كان يسر لي قائلا ما الفائدة من هذا الكتاب؟ ما كتبه السابقون يغني عنه.

وكان يعيب على هؤلاء الذين يضعّفون حجم الكتاب

Upload by: altawhedmag.com

مرات؛ بحواش وتعليقات لا فائدة منها ويقول: هذا نفخ للكتاب، ورأى يومًا كتابًا لأحدهم عن المرأة لم يتقنه صاحبه فقلب فيه ثم قال: يبدو أن كاتبه لم يتزوج!!

هذا ولقد كان رحمه الله شغوفًا بجمع الكتب واقتنائها، وكان يقتطع جزءًا من راتبه كل شهر ليجمع الكتب، حريصا على معرفة كل جديد، حتى تكونت لديه مكتبة عامرة لا تخلو غرفة من بيته من هذه المصنفات حتى في حجرة نومه وضع فوق الفراش أرففًا ووضع عليها ما تمس الحاجة إليه من أبحاث ومصنفات وأشرطة؛ فيجعل لذلك وردًا قبل النوم.

أهم ما تميز به

إن من لازم الشيخ - رحمه الله - لا يستطيع أن يحصر الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة التي اتصف بها الشيخ لكن من أبرز ذلك.

١- علو همته

ولو تتبعنا ذلك لوجدنا أن الأمر يطول فهو في الدعوة قد حاز قصب السبق وبلغ شاوًا عظيمًا في نشرها، حتى لقد كنا نرفق به من هذا الجهد فكان يقول: إني رأيت الموت بعيني - وكان ذلك إثر عملية جراحية له - فقلت لنفسي ما تطلبين؟ فقالت: أرد لأعمل في الدعوة إلى الله. فقلت لها فانت في الأمنية فاعملي، وجلس يومًا مع شيخه الألباني - رحمه الله - فقص عليه الشيخ ما يقوم به من دعوة إلى الله وشكا له بعض المعوقات فرد عليه الشيخ الألباني وقال له: إن استطعت أن تموت على هذا فافعل، فامتثل الشيخ - رحمه الله - قوله وسار على هذا الدرب حتى قبضه الله تعالى وهو على ذلك.

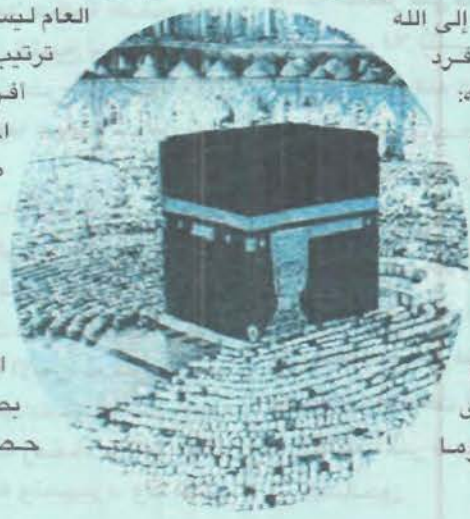

وأما همته في التعلم والتحصيل فإنك ترى العجب، ما دخلت عليه يوما في بيته إلا والكتاب في يده؛ على الطعام، وعلى الفراش، وهو يسير، وهو قائم، وإذا حضر جماعة عنده وكانت لهم حاجة فقضاها الشيخ لهم ثم أرادوا مزيدًا من الجلوس معه يفتح الكتاب ثم يقرأ ويسمع الحاضرين ولا يضيع اللحظات بغير فائدة.

وكان له ورد من القراءة في السيارة، في ذهابه، وعند إيابه طلب أن نضع له مصباحًا في السيارة ليستفيد من أوقاته في رجوعه فربما قطع نصف اليوم في الطريق، ولهذا كان يتعجب بعض إخوانه ويقول متى تكتب؟! ومتى تقرأ وأنت لا تفتر يوما من سفر أو مجلس أو فض قضية بين متخاصمين أو صلح بين اثنين؟! لكن التوفيق بيد الله سبحانه وتعالى.

٢- تواضعه:

مع ما حباه الله عز وجل من إجلال الناس وهيبتهم له ومع ما آتاه الله من علم راسخ، وبيان ناصع؛ تراه أعظم الناس تواضعًا وخفضا للجناح، لا يعبأ بالدنيا وزخارفها مقبلا بقلبه وقالبه على الله كان أحيانا يلبس ثيابًا بأنف أحدنا من لبسها، ويجلس مع الفقراء بل ويدنيهم منه ويتفقد أحوالهم ويحمل همهم، ولا يحب الشهرة ولا الإطراء، ولكم سمعناه وهو ينكر على بعض من يقدم له بين يدي المحاضرة ويقول لنا: يا إخواني إن كلمة الرئيس العام ليست منصبًا علميًا إنما هي ترتيب إداري لينتظم العمل بين أفراد الجماعة، وتطلب منه المحاضرات في زوايا صغيرة فيجيب، أو مدرسة فيرحب، وما رد دعوة أحد قط لذا اجتمعت القلوب عليه.

هذا وقد اتصف الشيخ - رحمه الله - بصفات عديدة لا نستطيع حصرها ولا أدري أأتكلم على

Upload by: altawhedmag.com

حلمه أم صبره، أم حفظ لسانه وطول صمته، وحكمته في الدعوة إلى الله تعالى.. ثابتًا في عقيدته ومبدئه في الدعوة لا يميل مع كل ريح، وأذكر موقفًا لطالما ردده أمامي وهو أنه لما وقعت أحداث البوسنة والهرسك وتأثر المسلمون بالمذابح الدامية التي تقع لإخوانهم المسلمين دعي إلى محاضرة في هذه الفترة، فانتظر الحضور أن يتحدث الشيخ عن هذه الأحداث الدامية، لكنه فاجأ الناس وأخذ يتحدث حول حديث عثمان بن عفان في وصف وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، الذي رواه عنه حمران بن أبان، فكأنه سقط في أيديهم، فالتفت الشيخ إليهم وقال لهم: أين أنتم من الجهاد وبيوت المسلمين تعج بالمعاصي، إن حمران كان مولى لعثمان من سبايا عين التمر، فدخل بيوت المسلمين فتعلم العلم والعمل ثم صار إمامًا وراويًا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم. أتظنون لو أن إخواننا في البوسنة دخلوا ديارنا أيتعلمون الإسلام كما تعلمه حمران؟! فعند ذلك أيقنوا بحقيقة المحنة وكيف ومن أين نبدأ.

إن ذلك ليدل على رسوخ قدمه رحمه الله وثباته عند الزلازل والفتن.

بشريات للشيخ رحمه الله.

إن من المعلوم من دين الإسلام أن الله تعالى إذا أحب عبدًا ادخر له عملا صالحًا فقبضه عليه، وإن من تمام النعمة على الشيخ أن يسر له أداء العمرة، ومن العجيب أنه خرج من بيته ولأول مرة بلباس الإحرام ورأينا عينيه تذرفان على غير ما تعودنا منه.

وفي يوم الوفاة وكان يوم جمعة صلى الجمعة في الحرم المكي ثم ذهب إلى المسكن، وبينما هو على بابه إذ شعر بالم، فأخذ يهلل ويقول: لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم توجه بنفسه إلى القبلة ونام على شقه الأيمن، ثم شرب جرعة من ماء وردد بعدها الشهادة، ثم فاضت روحه رحمه الله ويسر الله له رفقاء من أهل العلم والصلاح، فقاموا بغسله وتجهيزه، وقد صلى عليه في الحرم الشيخ صالح بن حميد في جمع غفير من أهل التوحيد والإيمان، فانظر أي نعمة هذه؛ في بلد الله الحرام يدفن وفي المسجد الحرام يصلى عليه وقبلها بأيام لبس ملابس الإحرام وأدى عمرته وآخر ما تلفظ به لا إله إلا الله والنبي عليه الصلاة والسلام يقول من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.. ويشهده جمع هائل حتى امتلأت ساحات الحرم عن آخرها، ثم ترى له الرؤى الصالحة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «لم يبق بعدي إلا المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له» ومن ذلك أن إحدى بناته في اليوم الثاني من وفاته ترى له رؤيا خير.

رأت أنها كانت هي تجلس مع أخواتها؛ إذ قالت لهنّ وهي تبكي وهل يعوض الأب!! فدخل الشيخ عليهم وقال لها اسكتي فقد أعطوني قصرًا من ذهب في الرياض. فقالت زوجه له: لا تذهب الآن، اذهب في رجب.

مات الشيخ رحمه الله وخلف من الأولاد تسعة: ثلاثة من الذكور، وستًا من الإناث.

فنسأل الله عز وجل أن يرزق زوجه وأولاده وأهله الصبر على فقده، وأن يجعلهم خير سلف لخير والد، فلا يُنسى من دعوة صالحة أو صدقة جارية، وإنه والله كان والدًا لكل شباب الدعوة إلى الله؛ إليه يرجعون، وبأقواله ينتصحون، وبتوجيهاته يأتمرون... فرحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى مع سيد الدعاة وإمام الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام.

إننا لا نستطيع أن نوفي حقه بهذه الكلمات، ولا بأضعافها، فلو فتحنا الباب عن فضائله لفنى القرطاس وانقطعت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له. فاللهم اغفر ذنبه، ونور قبره، وتقبله عندك في الصالحين.

Upload by: altawhedmag.com

ورحل والد الإمام

في الثالث عشر من رجب لعام ١٤٢٣هـ رحل شيخنا/ صفوت نور الدين - رحمه الله - وفي مساء الأحد من نفس الشهر بعد عام توفى والده الشيخ/ نور الدين أحمد مرسي عن عمر يناهز الواحد والتسعين عامًا.

مولده: ولد - رحمه الله - في قرية الملايقة وهي من قرى مدينة بلبيس عام ١٩١٤ من الميلاد، الموافق عام ١٣٣٢هـ من هجرة المصطفى ﷺ.

دعوته: ترأس الشيخ - رحمه الله - فرع بلبيس حقبة من الزمن، فكان عمودها الفقري لم يترك ميدانًا من ميادين الدعوة إلا وتراه قد حاز قصب السبق، فكان هو الطليعة الوثابة للجماعة إن شئت أن تراه داعية؛ رأيته، أو معلمًا؛ وجدته أو تاليًا للقرآن؛ سمعته، وكانت له حلقة لتعليم القرآن بعد صلاة الفجر، علم فيها القرآن وتلاوته، حتى أنه كان يأتي الحلقة متوكئًا على العصا لا يستطيع السير.

عبادته: وكنت جارًا له في مسكنه قبل وفاته بسنوات قليلة، فكنت إذا رأيته تعزيت عن الدنيا نعم والله، لا عمل له إلا في شيئين: الصلاة والمصحف.

فكان يختم القرآن كل يومين، وربما ضعفت قوته فلا تمر عليه ثلاثة أيام إلا وقد ختم المصحف وكان لا يمر عليه عام إلا ويذهب إلى بيت الله الحرام معتمرًا أو حاجًا.

فبلغ عدد مرات حجه اثنتي عشرة حجة وأما عدد عُمَرِه فلا نستطيع حصرها.

وفاته: قبل وفاته بأيام شعر بألم شديد وضيق في التنفس، وكان إذا سُرِيَ عنه يقرأ قوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة..﴾.

وقبل وفاته بيومين قال لنا: أنا أريد أن أقول للشباب: اعملوا بجد لمثل هذا اليوم.

وفي أثناء ذلك كان يغمى عليه فإذا أفاق سأل: أحان وقت الصلاة؟ فنقول: نعم فيكبر ثم يصلي فلا يتم الصلاة للإغماء، فكان آخر كلماته التي سمعناها منه: يا رب عفوك ورضاك وتجاوز عن سيئاتي.

فاللهم إنا نسألك أن تعفو عنه، وأن تلحقه بالصالحين في جنة الفردوس، وإنا لله وإنا إليه راجعون

كتبه / أحمد بن سليمان

وهكذا يرحل حَمَلَة القرآن

الحمد لله الباقي الذي لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد، وصلاة وسلامًا على النبي محمد ﷺ.

هكذا يرحل العلماء ويذهب حملة القرآن، ويغيب عن الأرض خيارها، فهنيئا لمن حمل كتاب الله بين جنبيه، غير غالٍ فيه ولا جافٍ عنه، ومن استحق وصية الله تعالى بإكرامه، وجعل ذلك من إجلاله، وقد رحل عنا في هذا الشهر علم من أعلام القرآن جَمَعَ الخيرية من أمرين هما من أعظم الأمور وهما تعلم القرآن وتعليمه للناس، بل شاب وطال عمره في ذلك فحاز فضلا عظيمًا في طول العمر وحسن العمل، نحسبه كذلك والله يزكي من يشاء.

ورحيلنا وفقيدنا - رحمه الله تعالى - هو الشيخ نور الدين مرسي والد عالمنا وشيخنا الراحل الشيخ صفوت نور الدين وله أيضا من الأبناء والأحفاد والأصهار الحفظة لكتاب الله والدعاة وطلبة العلم ، فهي شجرة مباركة.

وأسرة تحرير المجلة تبتهل إلى الله ضارعة أن يجازيه بالحسنة إحسانا، وبالسيئة عفوًا وغفرانًا، وأن يسكنه فسيح الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، كما نسأله أن يمن على أهله بالصبر والثبات، وأن يخلف على المسلمين ويعوضهم في فقد هؤلاء الأخيار خيرا.

أسرة المجلة

Upload by: altawhedmag.com

حرمة أعراض العلماء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وبعد:

فإن من تعظيم حرمات الله تعظيم ما أمر الله بإكرامه وإجلاله، وأولى الناس بذلك هم العلماء.

إعداد/ أحمد سليمان

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل قال: «من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب».

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب؛ بلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

وإن المسيئ إلى العلماء، والطاعن عليهم بغيًا وعدوًا، قد ركب متن الشطط، ووقع في أقبح الغلط، لأن حرمة العلماء مضاعفة، وحقوقهم متعددة، فلهم كل ما ثبت من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولهم حقوق المسنين والأكابر، ولهم حقوق حملة القرآن الكريم ولهم حقوق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين.

وروي عن الإمام أحمد قوله: «لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات».

لحوم أهل العلم مسمومة
ومن يعاديهم سريع الهلاك
فكن لأهل العلم عونًا وإن
عاديتهم يومًا فخذ ما أتاك

فهؤلاء المغتابون المتجرئون على العلماء، الناعقون بين الرعاع هم الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: «إن من الناس مفاتيح للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(٣).

فكم صد أولئك عن الخير وفتحوا أبواب الشر بطعنهم في العلماء وتجريئهم السفهاء، وغمزهم إياهم بالألفاظ النابيات، فيا ليتهم عقدوا مجالسهم للذكر والقرآن، وتدبر السنة وعلم البيان، فما انتفعوا بما قالوا، ولا نفعوا إخوانهم إذ وثقوا بهم.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨): وليس للمعلمين أن يخربوا الناس ويفعلوا ما يلقى بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى وإذا وقع بين معلم ومعلم وتلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة أو مشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوى.

فلما كان الكلام في المسلم عظيم الخطورة،

Upload by: altawhedmag.com

وخيم العاقبة، وجب التورع في الكلام عن المسلم عامة وعن أهل العلم خاصة.

قال الإمام النووي في رياض الصالحين تحت كتاب الأمور المنهي عنها: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يَعْدِلُها شيء.

ثم قال:

ما يباح من الغيبة

اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو بستة أسباب:

١- التظلم.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب.

٣- الاستفتاء.

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته؛ فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف إذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش. اهـ بتصرف.

وعلى هذا قام علم الجرح والتعديل ووضع العلماء له الضوابط التي تسير عليها، فهو علم اختص به جماعة من الأفذاذ وليس مسرحًا لأنصاف طلاب العلم ولا المتعالمين الجهال.

قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/٤): حق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم- جهبذا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشان وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى العلماء والاتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها
ولو سودت وجهك بالمداد

فإن أنست من نفسك فهمًا وصدقًا وورعًا وإلا فلا تفعل، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب وإن عرفت أنك مخلط مخبِّط مهمل لحدود الله فارحنا منك. اهـ.

فكيف لو رأى الإمام الذهبي أهل زماننا ممن لا يعد من طلاب العلم، وليس منهم ولا على طريقتهم، ثم تراه نصب نفسه إمامًا في علم الجرح والتعديل وهو لم يتأهل بعد:

«وكيف يطير ولما يريش»؟!

ورحم الله الذهبي عندما قال: فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

كلام الأقران في بعض

قد يقع عالم في الطعن على آخر مثله فلا ينبغي أن تطير بما قاله، فربما يخرج الكلام لعداوة أو لحسد أو لمذهب.

قال الإمام الذهبي: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عظم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين(٤).

ورحم الله سلمة بن دينار وهو يصف حال علماء زمانه وما وصلوا إليه من وقيعة بعضهم في بعض، فيقول:

العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يَزْهُ عليه، حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهو على من هو دونه فهلك الناس. اهـ.

فكم قطع كلام الأقران في بعضهم انتفاع الطلاب منهم، وصد الناس عنهم، أبكلمة واحدة يسقط العالم؟ وبهمزة ولمزة يهجر؟ أو بزلة أو سقطة ينتهك عرضه ويهجر قوله؟ والله إن هذا

Upload by: altawhedmag.com

لهو الشطط والزيغ عن الصراط.

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١٥٠): من صحت عدالته، وثبتت في العلم إمامته، وبانت ثقته، وبالعلم عنايته، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة يصح بها جرحته على طريق الشهادات، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغل والحسد والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله، فذلك كله يوجب قبول قوله من جهة الفقه والنظر.

وساق عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون».

وإنما نحترمك ما احترمت العلماء:

من الناس من طبعه خنزير يمر على الطيبات فلا يلوي لها عنقًا، فإذا وجد رجيعًا أو روثًا همّه والتهمه.

فهكذا القلوب المريضة لا تحفظ إلا الشر ولا يستر وجهها إلا سماع السقط، ففي تناقل زلل الناس غايتها المنشودة، وعنايتها الدؤوبة.

قال ابن الأثير: إنما السيد من عدت سقطاته، وأخذت غلطاته، فهي الدنيا لا يكمل بها شيء. اهـ.

فمن لم يحترم العلماء- وإن بدرت منهم بادرة- فليس محترمًا عندهم. ذكر الذهبي في السير (١٩/٥٨١) عن الحافظ ابن عساكر قال: كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيهًا داوديًا، ذُكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء وسمعته وقد ذكر مالك فقال: جلف جاف ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه «الأموال» لأبي عبيد فقال: ما كان إلا حمارًا مغفلاً لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء فاجتمعنا يومًا عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب «الكامل» فجاء فيه: وقال السعدي كذا.

فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له فهو السعدي فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟ فغضب وأخذته الرعدة وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخافونني، فآل الأمر إلى أن تقول فيَّ هذا؟ فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك.

فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة، فهذا كما قالوا:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
شرًا أذاعوه وإن لم يسمعوا كذبوا

وقارن بين هؤلاء وبين ما قاله الإمام الهمام المنصف ابن القيم: «من قواعد الشرع والحكمة أيضًا: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف الماء القليل فإنه لا يحتمل أدنى خبث»(٥).

نصيحة

عليك بالجماعة، وإياك والشذوذ، واشتغل بالعلم، ودعك من قيل وقال، واتق زلة العالم فقد يقول اليوم قولاً ويرجع عنه ويتوب فتتحير ولا تهتدي، صحح نيتك وحدد هدفك واهتم بما ينفعك واهجر ما يضرك، ولا تحمل في قلبك بغضًا وغلاً لمن كان سببًا في هدايتك.

فرب العالمين يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) انظر مقدمة المجموع (ص٢٤).

(٢) انظر حرمة أهل العلم (٩- ١٠).

(٣) انظر السلسلة الصحيحة (١٣٣٢).

(٤) ميزان الاعتدال (١/١١).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/١٧٦).

Upload by: altawhedmag.com

شهر الله المحرم بين الاتباع والابتداع

الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم، والزمن منازل، ولكل زمن من الأزمان وظائف، ولكل وظيفة فضيلة، ولكل فضيلة حكمة رشيدة وزيادة حميدة.

وشهر الله المحرم أحد الشهور الفضيلة؛ فهو آخر الأشهر الحُرُم المتوالية، وفيه يعود غالب الحجيج إلى أوطانهم النائية، فحرَّم الله فيه القتل والظلم؛ لحرمة الحجيج، وقد قطعوا المفاوز، وفارقوا الأهل والذرية والمتاع.

إعداد د. أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

فهو الشهر الحرام، وفيه يوم النجاة، وأهلك الله فيه الجناة، فصمنا عاشره حبًا واتباعًا لكليمه وقد نجّاه، ولم نجعله عيدًا كما فعل من خالف الكليم وأغضب مولاه، ولا اتخذناه مأتمًا نلطم وجوهنا لموت الحسين فيه وما خذلناه، ولا سرنا بالمواكب العزائية زاعمين الحب لآل البيت، وآل البيت برآء.

وإن الناس قد تنازعوا في شهر الله المحرم بين الاتباع والابتداع

فافترقت الأمة فرقًا رغم تحذير الله تعالى:«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (سورة آل عمران: ١٠٥).

ومع تواتر آيات القرن الكريم بالأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، إلا أن الشيطان أعمل عمله، وأغوى أكثر الخلق؛ فاستدرجهم، وزيَّن لهم أعمالاً ظنُّوا أنهم بها يتقرَّبون إلى الله زعموا! ولكنهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- يزدادون من الله بُعدًا، ومن نبيه صلى الله عليه وسلم بُغضًا، ومآلهم يوم القيامة أن يقول لكل من خالف طريقه: «ألا سحقًا ألا سحقًا».

فالناس في شهر المحرم على قسمين: أهل الاتباع، وأهل الابتداع، ولكل منهما عمل ووظيفة؛ فلنبدأ بذكر وظائف أهل الاتباع:

أهل الاتباع يُعظمون صيام شهر المحرم

فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة، بعد الفريضة، صلاة الليل» صحيح مسلم(١١٦٣).

وفي هذا الحديث تصريح بأن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.

أهل الاتباع يصومون يوم عاشوراء ويعرفون فضله

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يومًا، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكرًا لله، فقال «أنا أولى بموسى منهم» فصامه وأمر بصيامه. صحيح البخاري (٣٣٩٧).

وعنه أيضًا، قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا

Upload by : altawhedmag.com

الشهر يعني شهر رمضان» صحيح البخاري (٢٠٠٦).

وصيامه ليس بفرض؛ ففي حديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده» صحيح مسلم (١١٢٨).

وفي حديث البخاري بسنده إلى حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، يوم عاشوراء عام حجّ على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء، فليصم ومن شاء، فليفطر» صحيح البخاري (٢٠٠٣).

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم ورغّب في صيام عاشوراء وجعل من فضائله تكفير عام قبله؛ ففي حديث أبي قتادة الطويل في صحيح مسلم (١١٦٢) وفيه: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

قال ابن قدامة: «إذا ثبت هذا فإن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم. وهذا قول سعيد بن المسيب، والحسن؛ لما روى ابن عباس، قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشوراء العاشر من المحرم». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. المغني (٣/ ١٧٨).

أهل الاتباع يحرصون في كل أعمالهم على مخالفة أهل الكتاب

فواعجبًا لأمة تميّزت عن سائر الأمم بشرع متين، وحكم رشيد، ووحي لا عوج فيه ولا تقصير، ثم تراهم يقلدون اليهود والنصارى ويلهثون خلفهم حتى لو دخلوا جحر ضب دخلوا خلفهم بلا عقل أو تفكير، فها هو نبينا صلى الله عليه وسلم يرسخ قاعدة التميّز عنهم في كل شيء؛ حتى في مخالفتنا لهم في أيام الصوم.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح مسلم (١١٣٤)

قال شيخ الإسلام والسنة لمن صامه أن يصوم تاسوعاء معه

قال في رواية الميموني وأبي الحارث: من أراد أن يصوم عاشوراء؛ فليصم التاسع والعاشر؛ إلا أن يشكل الشهر(فيصوم ثلاثة أيام) ابن سيرين يقول ذلك.

وقال في رواية الأثرم: أنا أذهب في عاشوراء أن يُصام يوم التاسع والعاشر. حديث ابن عباس: «صوموا التاسع والعاشر». شرح العمدة (٢/ ٥٨٠).

أهل الاتباع جعلوا شهر المحرم بداية للتاريخ الإسلامي

حساب السنين بتاريخ الهجرة سَنَة عُمريّة، هدى الله عز وجل إليها أمير المؤمنين المحدث عمر بن الخطاب؛ فلقد اتفقوا على حدث الهجرة؛ لأنه الحدث الذي قامت به دولة الإسلام.

فاليوم في الإسلام يبدأ من غروب الشمس، والشهر يبدأ من ظهور الهلال، والسنة تبدأ من شهر الله المحرم، هذا هو تاريخ المسلمين، وهذا ما جرى عليه عملهم، وتعاملوا به في كتبهم ومكاتباتهم.

قال ابن كثير: اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة -وقيل: سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة- في الدولة العُمريّة على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، رُفع إليه صكّ، أي حُجّة، لرجل على آخر، وفيه أنه يحل عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها، أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون

Upload by : altawhedmag.com

به حلول الديون، وغير ذلك، فقال قائل: أرخوا كتاريخ الفرس. فكره ذلك، وكانت الفرس يُؤرخون بملوكهم واحدًا بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم. وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيليبس المقدوني، فكره ذلك. وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: بل بمبعثه. وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه، إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك. البداية والنهاية (٤/ ٥١٠).

أهل الاتباع لا يخصون يوم عاشوراء بمزيد طعام ولا كسوة

قال شيخ الإسلام منكرًا بعض البدع المحدثة في هذا اليوم:

والصحيح أنه يستحب لمن صامه أن يصوم معه التاسع؛ لأن هذا آخر أمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر» كما جاء ذلك مفسرًا في بعض طرق الحديث، فهذا الذي سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما سائر الأمور؛ مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة؛ إما حبوب وإما غير حبوب، أو في تجديد لباس، أو توسيع نفقة، أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم أو فعل عبادة مختصة. كصلاة مختصة به، أو قصد الذبح، أو ادخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب، أو الاكتحال، أو الاختضاب، أو الاغتسال، أو التصافح، أو التزاور، أو زيارة المساجد والمشاهد ونحو ذلك، فهذا من البدع المنكرة التي لم يسنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين، لا مالك ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا أبو حنيفة ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل ولا إسحاق بن راهويه، ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين. مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١١).

فأما المناوئون لأهل السنة والجماعة فقد ناقضوا أهل الاتباع وخالفوهم في كثير من الأعمال ومنها:

أهل الابتداع اتخذوا يوم عاشوراء مأتمًا وحزنًا

لقد غلت الشيعة في مقتل الحسين رضي الله عنه غلوًا مفرطًا فجعلوا يوم استشهاده رضي الله عنه العاشر من محرم مأتمًا وحزنًا ونياحة يكررونه في كل عام إلى يومنا هذا، ورتبوا على هذا الفعل الأجر والثواب، وقد روى الطوسي في أماليه بسنده عن الرضا عليه السلام أنه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة، يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه. أمالي الطوسي صـ١٩٤.

وقد بوّب المجلسي بابًا قال فيه: باب ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمة وفيه أدب المأتم يوم عاشوراء، وساق فيه أكثر من ثمان وثلاثين رواية؛ منها ما رواه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام. بل زعموا أن السماء والأرض بكت لقتله فأمطرت السماء دمًا وترابًا أحمر، كما بكت الملائكة والجن وسائر المخلوقات. البحار (٤٤/ ٢٧٨ ـ ٢٩٦).

وقال ابن كثير: فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه هذا الذي وقع من قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين وعُلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًا، ولكن لا يَحسُن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه وهم لا يتخذون مقتله مأتمًا كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من عليّ عند أهل السنة والجماعة، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر

Upload by : altawhedmag.com

ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتمًا، وكذلك عمر بن الخطاب، وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يُصلي في المحراب صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتمًا، وكذلك الصِّدِّيق كان أفضل منه، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتمًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ولم يتخذ أحد يوم موته مأتمًا يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادّعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك، وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي عن جدّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها، فيُحدثُ بها استرجاعًا إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أُصيب بها». البداية والنهاية (١١/ ٥٧٩).

أهل الابتداع يحرمون صيام يوم عاشوراء

ولم يكتفوا بجعل عاشوراء مأتمًا بل وصل بهم الحال إلى أن قالوا: بتحريم صيام عاشوراء، وأن من صامه فهو عدو للحسين وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين.

فقد روى الكليني بسنده عن جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام، وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، ويتشاءم به أهل الإسلام، لا يُصام ولا يُتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه، وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب، وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما. الكافي (٤/ ١٤٦).

أهل الابتداع جعلوا يوم عاشوراء عيدًا ليكيدوا للشيعة الروافض قال شيخ الإسلام مبينًا ضلال الطائفتين: فعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسمًا كمواسم الأعياد والأفراح. وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة، وإن كان أولئك أسوأ قصدًا وأعظم جهلًا، وأظهر ظلمًا، لكن الله أمر بالعدل والإحسان. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». ولم يسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئًا من هذه الأمور، لا شعائر الحزن والترح، ولا شعائر السرور والفرح، «ولكنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ فقالوا، هذا يوم نجّى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه، فقال: نحن أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه»، وكانت قريش أيضًا تُعظّمه في الجاهلية. واليوم الذي أمر الناس بصيامه كان يومًا واحدًا، فإنه قدم المدينة في شهر ربيع الأول، فلما كان في العام القابل صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، ثم فرض شهر رمضان ذلك العام، فنسخ صوم عاشوراء. الفتاوى الكبرى (١/ ٢٠١).

فاللهم إنا نسألك أن تمسكنا بديننا وأن تثبتنا على الحق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

لماذا يحرقون المصاحف؟!

إعداد: د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا مبينًا، وسلطانًا قويمًا، وصراطًا مستقيمًا، فهو الحجة والبيان، والفارق بين الحق والطغيان، والقائد للجنة ومن نأى عنه فهو في الجحيم والنيران.

فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما في الصدور، ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، فكل من آمن به فقد وفق، ومن قال به فقد صدق، ومن تمسك به فقد هدي، ومن عمل به فقد فاز.

وما حسدنا أهل الكتاب على شيء أعظم مما يحسدوننا على كتاب الله الذي امتن الله به علينا، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٥١- ٥٤).

شرف المسلمين بالقرآن:

فلا شرف لأهل الإسلام إلا بالقرآن والعمل به وتعظيمه وتوقيره. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠).

عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم. وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه. تفسير الطبري (١٨/٤١٥).

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة، والنعمة الباقية، وهو إعلام المسلمين الصادق، ومنبع التوجيه والتربية، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل

Upload by: altawhedmag.com

به أجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥).

وقال -عز اسمه-: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

ومن إكرام القرآن النهي عن السفر بالمصحف إلى بلاد العدو مخافة أن يهان. فعن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان ينهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن يناله العدو. (صحيح البخاري (٢٩٩٠). صحيح مسلم (١٨٦٩) واللفظ له)

قال ابن الجوزي: والإشارة بالقرآن إلى المصحف. وإنما حذر عليه من إهانة العدو إياه بالتمزيق وغيره، وفي هذا بيان احترام المصحف. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٥٤٩).

وقال ابن بطال: ومعنى النهى عن السفر به إلى أرض العدو خشية أن يناله العدو ولا يكرموه، وقد أخبر الله أنه في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة (وهم الملائكة. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/١٥٠)

وقال ابن عبد البر: أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه واختلفوا في جواز ذلك في العسكر المأمون الكبير؛ فقال مالك لا يسافر فيه بالقرآن إلى أرض العدو ولم يفرق بين العسكر الكبير والصغير؛ وقال أبو حنيفة يكره أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو إلا بالعسكر العظيم فإنه لا بأس بذلك.... ومعلوم أن من تنزيه القرآن وتعظيمه إبعاده عن الأقذار والنجاسات وفي كونه عند أهل الكفر نقض له بذلك وإهانة له وكلهم أنجاس لا يغتسلون من نجاسة ولا يعافون ميتة. الاستذكار (٥/٢٢).

وقال الإمام النووي: أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته. وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر. قال الامام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحد حرفًا منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته وهو عالم بذلك أو يشك في شيء من ذلك: فهو كافر بإجماع المسلمين. وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل أو كتب الله المنزلة أو كفر بها أو سبها أو استخف بها فهو كافر. (التبيان في آداب حملة القرآن ص١٦٤).

وقال النووي مبينًا مسألة صيانة المصحف واحترامه: أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه. قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافرًا. قالوا: ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام. ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح، عن ابن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربي. (التبيان ص١٩٠).

ولهذا وضع العلماء مصنفات عدة لبيان آداب التعامل مع القرآن وآداب تلاوته لأنه ليس كباقي الكتب. قال الزرقاني: ليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط بهالة من الإجلال والتقديس كالقرآن الكريم. حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه كتاب مكنون وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون وأقسم على ذلك إذ يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ

Upload by: altawhedmag.com

عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين».

وحتى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السفر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم. مناهل العرفان (١/٤١٠).

الساب لكتاب الله ولنبيه مهزوم على الدوام:

روى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: "كان رجلا نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانيا فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه".

قال شيخ الإسلام: فهذا الملعون الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مرارا وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله وأنه كان كاذبا إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. الصارم المسلول (١١٦).

الله سبحانه يؤيد دينه بالرجل الفاجر:

ثبت في الصحيحين قول النبي صلى الله عليه وسلم: وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم(١١١).

فقد يكون هذا التأييد للدين من حيث أراد هدم الدين. فانقلب العمل عليه وخاب ظنه وسعيه، وتحول عمله من وسيلة هدم وافساد إلى سبيل دعوة وارشاد.

ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب نشر العود

فعندما يضعف إيمان المسلمين ويهجرون كتاب ربهم ولا يعتزون به ويحافظون عليه، يقيض الله هذا الفاجر لينال من المصحف فتشتعل حرارة الايمان في القلوب وتتزلزل أركان الديار بالغضب والحزن والثبور على ما يجري لكتاب الله ممن لا خلاق لهم ولا أصول؛ فتعود الغيرة للمسلمين وتزداد الأوبة للقرآن المبين وتنشط النفوس لتنهل من نبع اليقين، وكلام الوحي الأمين.

وتتفتق أذهان الكافرين للبحث عن جوهر هذا الكتاب المعظم عند المسلمين، فيقبلون عليه متمسكين ولآياته معتبرين ولأحكامه معظمين. وهل سمعتم يوما أعدادا من المسلمين خرجوا من الإسلام لأجل كتاب اليهود والضالين ؟! لكننا نسمع كل يوم عن أوبة غير المسلمين لأنهم خلي بينهم وبين سماع القرآن والذكر الحكيم.

فمن عظمة هذا الدين، أنه مهما اجتمعت عليه سموم الأقلام، وأحقاد الإعلام، والشرق والغرب، وكيد اليهود والنصارى، وسعي المنافقين، فإنه لا يزال قائما، ولو لم يمتحن هذا الدين بمثل هذه الضغوط العظيمة والكيد الجبار، ومكر الليل والنهار، ما ظهر تفوقه، ولا بانت عظمته، فهم يحرقون المصحف لما يحملون من حقد دفين وكره متأصل في قلوب المعاندين.

فيعمدون إلى أعظم رمز فيدنسونه وأجل كتاب ليهينونه لكن ما ضر السحاب نبح الكلاب (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١).

فالحمد لله على نعمة الإسلام وأن شرفنا بالقرآن ونسأله أن يميتنا على التوحيد والإسلام.

Upload by: altawhedmag.com

يدّعون محبته وقد استحقوا لعنته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد خاتم الرسل وخير من وطئ الثرى ورفع لواء التوحيد وطمس معالم الشرك فما أعظمه.

كثر في زماننا أدعياء المحبة، وكل يدعي محبته لكن المقياس في الدعوى متابعته، فمن كان محبًا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله. ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

وأصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ فأخبر أن من الناس من يشرك بالله فيتخذ أندادًا يحبونهم كما يحبون الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من هؤلاء، والمؤمنون أشد حبًا لله من هؤلاء لأندادهم ولله، فإن هؤلاء أشركوا بالله في المحبة فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله فلم يجعلوا لله عدلاً في المحبة بل كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول هي من محبة الله. (انظر قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام: ٦٩)

وأصل الشرك في بني آدم وقع بهذا الأصل قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" ١٧/ ٤٦٠: (والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدعها الآدميون، وهو شرك قوم نوح).

ومما وقع فيه طوائف عدة من الناس تعظيمهم لقبور الأولياء والصالحين من العلماء وآل البيت وهم منهم برآء، فبنوا على قبورهم

Upload by: altawhedmag.com

المساجد وشيدوا حولها القصور وأقاموا لأجلها الموالد، فغالوا في المحبة، وفارقوا أهل المحجة، وكذبوا في دعوى المحبة. كيف يكونون من المحبين وقد نهى سيد المرسلين عن اتخاذ القبور مساجد للزائرين وعن إضاءة السرج فيها فهو وسيلة من وسائل الشياطين، وهاهم يطوفون حولهم عابدين ولأجلهم تقدم القرابين بل والله طافوا حولها متعلقين بأستار القبر باكين، أفهؤلاء يحبون الشافع يوم الدين؟!!!!

لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد:

من أصول أهل السنة أنه لا يجتمع في دين الله قبر ومسجد، وقد تواترت الأدلة على النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن إضاءتها وعن رفعها فوق الأرض وعن الصلاة عليها، وقد جمع الشيخ الألباني في رسالته (تحذير الساجد) أربعة عشر رواية صحيحة كلها تدور على هذه المعاني ومن هذه الروايات، حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنًا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وانظر تخريجه هناك.

وقال عقبها: لقد تبين من الأحاديث السابقة خطر اتخاذ القبور مساجد وما على من فعل ذلك من الوعيد الشديد عند الله عز وجل، فعلينا أن نفقه معنى الاتخاذ المذكور حتى نحذره فأقول: الذي يمكن أن يفهم من هذا الاتخاذ إنما هو ثلاثة معان:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

وقال الشوكاني: اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها، كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين... وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال: "قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا أدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته". وفي صحيح مسلم أيضا عن ثمامة بن شفي نحو ذلك.

وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور: أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد. فإن ذلك من النهي عنه بلا شك ولا شبهة. ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين عليا. ثم أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث جابر قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يوطأ".

واذا تقرر لك هذا علمت أن رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد

Upload by: altawhedmag.com

عليها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم. وتارة قال: "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية. وذلك ثابت في الصحيح، وتارة نهى عن ذلك. وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى. انظر شرح الصدور بتحريم رفع القبور.

فالمتتبع لتاريخ البشرية من بعد قبورية قوم نوح إلى بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم يجد أن عبادة القبور هي الأساس، وما عبدت الأشجار والأحجار إلا تبعًا لها، ومن نظر في المجتمعات الشركية اليوم يرى بوضوح التأثر الشديد بالموتى من العلماء والصالحين

فالفلاسفة يذهبون إلى القبور عند الفزع؛ وقد صرح الرازي قائلاً: إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) انظر "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" (ص٤١٦).

والبوذية تعبد بوذا وتعتقد أنه ابن الله، وقد عملت له التماثيل العظيمة، والمعابد الكبيرة وتصلي له وتعتقد أنه سيدخلها الجنة، وأنه يتحمل جميع أخطائهم.

واليهود والنصارى: اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وتقدم ذكرها، وحذر النبي صلي الله عليه وسلم أمته من ذلك. وبما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى عرفنا أنهم شر القبورية.

والعرب: كانت في الجاهلية تعبد الأصنام وهذا أمر معروف، ولهذا بعث رسول الله أصحابه ليهدموا معابد الشرك لما فتح مكة.

فالقبورية في أوساط المسلمين تعد وارثة لأصحاب الديانات المذكورة هنا.

وكان أول من باشر تأسيس عبادة القبور هم الباطنية حين قامت دولتهم في مصر، وفي بلاد المغرب، فأقاموا المآتم والمزارات، وبنوا المشاهد والقباب، وهم أول من أسس ضريح الحسين في مصر وهو من الكذب الصراح.

وسنوا بدعة الموالد، مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين، ومولد الخليفة منهم.

وقد رأينا في هذه الأيام هذه الوثنية إلى الأمة قد عادت وبدعوى إحياء ذكرى الصالحين خاصة من آل البيت قد راجت، فجددوا ما بلي منها وأناروا مصابيحها وزينوا جدرانها.

أفهذه هي المحبة التي تدعون وعليها تعادون ولأجلها من المال تنفقون، تالله إنكم لفي ضلال مبين إذ سويتم بين هؤلاء وبين رب العالمين.

ومن قواعد الملة سد الذرائع المؤدية إلى الشرك في العبودية. وقد علم علم اليقين ما فعلته القبور بمن شيدها من المحبين، وقد انتهى حالهم إلى الضلال المبين. وهل هناك ذنب أعظم من أن يشرك بالله في عبادته ودعائه ومسألته، فكل تحت عفوه ومشيئته إلا من أشرك في محبته وعبادته غيره، قال تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ» (النساء: ٤٨).

فاللهم مسكنا بدينك وأمتنا على سنة نبيك وجنبنا وسائل الشرك وذرائعه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

صناعة التفاهة

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بابيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيأتي على الناس سنواتٌ خدّاعاتٌ: يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤتمَنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ. قيلَ: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: الرجُلُ التّافهُ يتكلّمُ في أمرِ العامةِ". أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وصحح إسناده أحمد شاكر والألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٠).

يُعرف الرويبضة بأنه: الإنسان العاجز الذي رَبَض عن معالي الأمور: أي قعد عن طلبها، وهي تصغيرٌ لكلمة رابضة، وكما ورد هنا في الحديث أنّه الرجل التافه الذي يتكلّم في الأمور العامة، وقيل: هو الرجل الذي لا يُنظرُ إليه، ولا قيمة له، ويتكلّم فيما شاء من أمور العامة، ويرفع من يشاء من الناس، وقد صدق الشاعر عندما قال:

خنافسُ الأرض تجري في أعنّتها
وسابحُ الخيل مربوطٌ إلى الوتد

Upload by: altawhedmag.com

وأكرمُ الأسْد محبوسٌ ومُضطهدٌ
وأحقرُ الدود يسعى غير مضطهد
وأتفهُ الناس يقضي في مصالحهم
حكم الرويبضة المذكور في السند

فبيَّن -صلوات الله وسلامه عليه- أنه بين يدي الساعة تتغير الأحوال، وتتبدل المفاهيم، وتنقلب الموازين.. ويعيش الناس في خديعة كبيرة، لا يعرفون صادق الناس من كاذبهم، ولا أمين القوم من خائنهم.

اختلال عام:

إنه لم يَخلُ زمان من تصديق كاذب أو تكذيب صادق، أو ائتمان خائن وتخوين أمين.

فقد كان فرعون صاحب أكبر كذبة في الوجود، عندما قال للناس: أنا ربكم الأعلى، ودعا الناس لعبادته، وزعم أنه يريد الخير لهم والصلاح، وكان موسى أصدق من مر على أهل مصر وبني إسرائيل، وأنصحهم وأخلصهم لهم.. ومع ذلك صدَّق كثير من الناس فرعون وكذَّبوا موسى.

وكان مؤمن آل يس أكثر قومه أمانة لهم ونصحًا لهم، حين أمرهم أن يتبعوا المرسلين، ونصحهم بطاعة رب العالمين: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢٤ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٠-٢٧).

قال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله.

وعن ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه من دُبره، وقال الله له: «ادخل الجنة»، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها.

وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (يس: ٢٠). وبعد مماته في قوله: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦-٢٧).

فخوَّنوه وهو الأمين، وكذَّبوه وهو الصادق.

إنه اختلال تام، وانتشار الأمر وفشوّه، حتى يصبح سمة عامة وعلامة مميزة لأهل ذلك الزمان.. فيتجلى الكرب، ويدلهم الخطب، وتكثر الفتن والبلايا، وتعظم المحن والرزايا.

إن التافهين قد حسموا المعركة لصالحهم في هذه الأيام .. لقد تغير الزمن زمن الحق والقيم .. ذلك أن التافهين أمسكوا بكل شيء.. بكل تفاهتهم وفسادهم..

فعند غياب القيم والمبادئ الراقية.. يطفو الفساد المبرمج في كل الأصعدة..

إنه زمن الصعاليك .. الهابط، وكلما تعمق الإنسان في الإسفاف والابتذال والهبوط ازداد جماهيرية وشهرة.

الأسوأ أن التفاهة غيّرت مفاهيم ومقاييس النجاح في حياتنا، فالنجاح أصبح يعني الشذوذ لا التميز، لم يعد النجاح شأنًا إنسانيًا تحكمه الأخلاقيات، بل هو مجرد بحث عن أي وسيلة للشهرة حتى على حساب الدين والقيم والمبادئ!! في زماننا هذا، تمكّن التافهون والتافهات من السيطرة على حياتنا، وفي طريقهم الآن لإفراغ المفاهيم والقيم من معناها..

Upload by: altawhedmag.com

الابتذال هو السائد، والتسطيح يضرب بجذوره ويضراوة في وجداننا، واستسلم المجتمع لمنتجي التفاهات من مشاهير مواقع التواصل، ومن طفا على الساحة الإعلامية.

والكارثة تتمثل في نجاح المحتوى المتدني النافذ عبر منصات التواصل الاجتماعي والتطبيقات في استقطاب الكثير من الشباب والفتيات وتأثر المجتمع جملة بهم. ويكمن ضررها على الأجيال القادمة عندما تربى على أهمية العقل والإبداع في الحياة.. وبين الواقع الذي يمجد الهزل ويرفع التافهين.. فينشأ جيل حائر بين هذه المتناقضات لا يدري أيصدق الواقع الذي يعيشه أو المنهج الذي يتعلمه.

فكم علمنا أبناءنا أهمية العلم وفضل العلماء الراسخين والأئمة المهتدين والذين بذلوا أوقاتهم في الرحلة والتحصيل والجمع والتأليف.

ثم يأتي إلى الواقع والأفعال فيجد أنها تهدم كل ما قيل له.. فيجد أن أصحاب العقول والمبدعين وأصحاب المواهب والابتكارات أكثر الناس تهميشًا وأشدهم عزلة.. وأبعدهم عن صناعة القرار وواقع الحياة.. لا يؤبه لهم ولا يلتفت إليهم إلا على استحياء.

بينما صناع التفاهة ومروجو الهزل تنصب لهم الرايات وتذاع عنهم الأخبار ويستضافون في الحلقات وعلى القنوات ويقدمون للجيل على أنهم هم القدوات.

إن من يراقب الواقع اليوم يرى تدنيًا علميًا شديدًا مع الأجيال الحاضرة، فقدنا في زمننا من يصبر على قراءة الكتب وحفظ المتون ودراسة الأسانيد والتعمق العلمي واكتفى جماهير الناس بمقطع صغير يسمعه أو موعظة لا تتعدى دقيقة فيفتحه وما زاد على ذلك فالوقت لا يسعفه!

إنه زمن قلت فيه الكتابة والتحصيل وانغمس فيه الناس على الهواتف وشبكات التفاهة والتضليل، وعزفوا عن سماع الثقات من العلماء النابهين حتى فيما يعن لهم من مسائل الدين فالهواتف بين أيديهم فلا حاجة للسفر والتطويل فكل يدلي بدلوه والمواقع قد فتحت أبوابها للتسهيل.

وأخطر ما في ذلك الاجتراء على الإفتاء في مسائل الدين، وهو بعد لم يفهم ما تعنيه خطورة التوقيع عن رب العالمين.

قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالمًا بما يبلغ صادقًا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن الله ناصره وهاديه، وكيف هو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (النساء: ١٢٧)، وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفًا وجلالة؛ إذ يقول في كتابه: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء: ١٧٦).

ومن يراجع حال العلماء المتثبتين يرى وجلهم وخوفهم من الإفتاء وهم أجمع الناس لآلة الاجتهاد!!

فعن ابن مسعود وابن عباس قالا: من

Upload by: altawhedmag.com

أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون.

وقال ابن شبرمة: سمعت الشعبي إذا سُئل عن مسألة شديدة قال: رب ذات وبر لا تنقاد ولا تنساق؛ ولو سئل عنها الصحابة لعضلت بهم.

وقال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: جاء رجل إلى مالك، فسأله عن شيء فمكث أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، فأطرق طويلاً ورفع رأسه فقال: ما شاء الله، يا هذا إني أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه.

وقد عقد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم فضله فصولا ماتعة حول هذا ومنه:

ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم الكبير وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة " قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين» جامع بيان العلم وفضله (١١٣٥).

قال أبو حازم: "قدم هشام بن عبد الملك المدينة فاجتمع إليه فقهاء الناس وإلى جنبي الزهري فقال لي الزهري: يا أبا حازم ألا تحدث الناس بعض أحاديثك؟ فقلت: بلى كان الناس الفقهاء مرة يستغنون بعلمهم عن أهل الدنيا، ويقضون في علمهم ما لا يقضي أهل الدنيا في دنياهم، فكان أهل الدنيا يقربونهم ويعظمونهم على ذلك، فأصبح العلماء اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فلما رأى أهل الدنيا موضع العلم عند أهله زهدوا فيه وازدادوا رغبة في دنياهم. جامع بيان العلم وفضله (١١٣٧).

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: «تعلموا العلم قبل أن يقبض العلم وقبضه أن يذهب بأصحابه، العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير فيهم، إن أغنى الناس رجل عالم افتقر إلى علمه فنفع من افتقر إليه وإن استغنى عن علمه نفع نفسه بالعلم الذي وضع الله عز وجل عنده، فمالي أرى علماءكم يموتون وجُهَالكم لا يتعلمون، ولقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر، ولو أن العالم طلب العلم لازداد علمًا وما نقص العلم شيئًا، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائما، فمالي أراكم شباعًا من الطعام جياعًا من العلم» جامع بيان العلم (١٠٣٦).

نعم والله إن العلم يرفع كل يوم، والجهل يزاد كل ساعة، ومن جهل أقدار العلماء ازدراهم وتنقص منهم. فكل من جهل شيئًا عاداه.

قال الماورديّ رحمه الله تعالى: «ليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل، لأنّ فضل العلم إنّما يعرف بالعلم. وهذا أبلغ في فضله، لأنّ فضله لا يعلم إلا به، فلمّا عدم الجاهلون العلم الّذي به يتوصّلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهّموا أنّ ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطّرف المشتهاة، أولى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها» (أدب الدين والدنيا: ص١٧).

هذا ونسأل الله أن يثبتنا على الحق وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

فلسطين أرض الملاحم

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد أخرج أحمد في مسنده (١٧٠٠٥) وأبو داود في سننه (٢٤٨٣) عن ابن حوالة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الأَمْر إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِاليَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالعِرَاقِ»، فَقَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَاكَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ» والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٩).

Upload by : altawhedmag.com

وفي هذا الحديث يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضيلة الجهاد ببلاد الشام، وبالشام بيت المقدس المبارك، وبه المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني المسجدين، لا يُشد الرَّحل بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، وإليه أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم، وصلى فيه بالأنبياء والرسل، ومنه كان المعراج إلى السماوات العلى، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاقي، وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، فقدره عظيم، وشرفه كبير، والإيمان بفضله وشرفه عقيدة، والجهاد لتحريره عزة، والتخاذل عن نصره ذلة، والرضى بكونه مأسورًا ومُدنَّسًا نفاق وخسة؛ لذا فإن الصراع بيننا وبين اليهود وحلفائهم ليس صراع أرض وحدود، وانما هو صراع عقيدة ووجود، ومن نظر إلى قضية القدس بغير هذا المنظور فهو جاهل ظلوم قد تجاوز الحدود، فاليهود يخوضون ضدنا حربًا دينية، ويتقربون إلى الله- زعموا- بتخريب بلادنا، وإفساد أخلاقنا، وتدمير اقتصادنا.

إن بلاد الشام خير البقاع بعد الحرمين بالاتفاق؛ لما ورد في فضلها من الآيات والأحاديث النبوية ذات الترغيب والاشتياق، والجهاد فيها باقٍ إلى يوم الجمع والتلاق.

فعن مُعاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمرُ الله وهم على ذلك». قال عُمير: فقال مالك بن يخامر: قال مُعاذ: وهم بالشام، فقال مُعاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع مُعاذًا يقول: وهم بالشام. البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

قال الحافظ ابن رجب في "فضائل الشام" (ص ٧٤-٧٥): وأما من قال من العلماء: هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وأحمد ابن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري، وغيرهم، فإنه غير مناف لما ذكرناه؛ لأن الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين، فلا بد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمين بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم.

وتدبر معي قوله صلى الله عليه وسلم عندما أخبر عن المخذلين للمجاهدين فهؤلاء كُثُر -لا كثَّر الله منهم- في كل زمان ومكان، وقد كانوا يخذلون عن النبي صلى الله عليه وسلم في جهاده ومعاركه، وما ضر رسول الله نكوثهم وقعودهم، ولكن ضروا أنفسهم بتخذيلهم، وكره الله طاعاتهم؛ لخبث قلوبهم وفساد نياتهم، فثبطهم عنها وأقعدهم، وأبغض قربهم منه وجواره، لميلهم إلى أعدائه، فطردهم عنه وأبعدهم، وأعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم، وأشقاهم وما أسعدهم، وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده، إلا أن يكونوا من التائبين، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦)، ثم ذكر حكمته في تثبيطهم وإقعادهم، وطردهم عن بابه وابعادهم، وأن ذلك من لطفه بأوليائه واسعادهم، فقال، وهو أحكم الحاكمين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ٤٧). مدارج السالكين (١/٣٦٢).

كل الملاحم ستقع في بلاد الشام

إن الفتن والملاحم الواقعة قبيل قيام الساعة فهي واقعة في بلاد الشام، وشاهدة على خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم وقتله المسيح الدجال، ومن نصره من

Upload by : altawhedmag.com

اليهود القادمين من أصبهان، وفيها هلاك أمة يأجوج ومأجوج وهم أقوى وأشد من اليهود، وعندها تخلو الأرض من الظلم والفساد ويعم السلام، ولن يُقبل يومها إلا دين الإسلام، فلا اعتبار لأي ملة على وجه الأرض غير الإسلام، ولو عرضوا على عيسى الجزية ورفعوا الصليب وقدموا القرابين فلن يقبل منهم إلا الإسلام.

عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننّاه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننّاه في طائفة النخل. فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط (شديد جعودة شعر الرأس)، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة (طريق) بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا». قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله،

فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره». قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء، فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين (المجدب المقحط) ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ

Upload by : altawhedmag.com

أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف (دود قاتل) في رقابهم فيصبحون فرسى (هلكى) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر، إلا ملأه زهمهم (الريح المنتنة) ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت (الناقة) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (المرآة)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة. صحيح مسلم (٢٩٣٧).

عودة القدس للمسلمين عقيدة الموحدين:

فالقدس لن تعود إلا بالمؤمنين أصحاب العقيدة التي تقدس البيت المقدس وتطأ اليهود والشرك المدنس، ولا عزة إلا بهذا.

في العام السادس عشر من الهجرة النبوية تم فتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما قدم عمر وصلى في المسجد الأقصى أراد عمر رضي الله عنه أن يجهر بهذه العقيدة، فلما قدم بيت المقدس عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض صنعت كذا وكذا قال: فصك في صدره، وقال: "لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله . نعم والله يا عمر لا عزة ولا نصرة ولا فلاح إلا بالله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).

فاللهم إنا نسألك أن تطهر بيتك المقدس من دنس الصهاينة والمشركين.

وصل الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

إنه في يوم الجمعة ١٣ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٣م فقدت جمعية أنصار السنة المحمدية - بمنشأة البكاري بالهرم- رجلاً من خيرة رجالها، وهو الحاج/محمود عبد الله أبو سلامة.

الذي كانت له أيادٍ بيضاء في نشر دعوة التوحيد وأعمال الخير.

نسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة.

Upload by : altawhedmag.com

قاهر اليهود

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على النبي المجاهد الخاتم حامل لواء التوحيد، وقاهر كل كفار عنيد، والسيف المسلول على رقاب إخوان الخنازير والقرود، الذي سلَّطه الله فأراح جزيرة العرب من فساد اليهود، وقد عاثوا في الأرض فسادًا فلم يسلم منهم نبي من سبّ أو قتل أو سفك الدم بلا حدود، ولو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصى والرمل، والتراب والأنفاس، ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد، ولا وصلت إلى قول إخوان القردة: "إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ" آل عمران: ١٨١.

قتلوا في يوم واحد سبعين نبيًا في أول النهار، وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنمًا، وقتلهم يحيى بن زكريا، ونشرهم إياه في المنشار.

واصرارهم على العظائم، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة، ورميهم لوطًا بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما.

ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق الحائط، وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله، فقام وهرب، وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه. (هداية الحيارى ٤٦٦).

Upload by: altawhedmag.com

وابتلاهم الله بالمحن ليتوبوا ويهتدوا فما ازدادوا إلا ضلالاً وتمردًا وعتوًا، وأراد الله أن يمنّ عليهم بآخر فرصة للتوبة والرجوع إلى الهدى والحق كما فعلوا أيام موسى عليه السلام بعد عبادة العجل، فأرسل إليهم آخر رسل منهم وهم: زكريا ويحيى وعيسى في عصر واحد، فقتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام بتأليب الحاكم الروماني عليه وأنه ساحر، واتهموا أمه بالفاحشة وقد برّأها الله، فغضب الله عليهم ولعنهم وسلط عليهم الرومان فدمروا الهيكل، وهو مسجد سليمان عليه السلام، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ونزح الباقون منهم إلى الجزيرة العربية ومصر والعراق وأوروبا.

ثم أخرج النبوة منهم إلى أبناء عمهم بني إسماعيل عليه السلام، فبعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، فلما قام الإسلام واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى، وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء، فكتب الله تعالى عليهم الجلاء، وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق.

وقد تحقق وعيد الله عليهم كما أوعد: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" (الأعراف: ١٦٧)، والذين يسومهم سوء العذاب: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، إلى يوم القيامة. ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم، عليه السلام، وذلك آخر الزمان. وهذا قول كثير من المفسرين

وقبل الإسلام سلط الله على الدولة الأولى الآشوريين، فدمروا مُلكهم وفتكوا بهم، وسلّط الله على الدولة الأخرى بختنصر "نبوخذ نصر" البابلي، فحطّم مُلكهم وأعمل السيف فيهم، وسبى الألوف منهم إلى بابل، ثم سلط الله عليهم السلوقيين اليونان، وصار لهم شبه دولة تحت حكمهم، وكانت الفتن والثورات لا تنفكّ تحدث بينهم تسيل فيها الدماء، ولما دالت دولة اليونان السلوقيين خلفهم الرومان، فاستبدوا في البلاد كلها، وفي أوائل عهد الرومان ولد المسيح وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام، وحكم الرومان فلسطين حوالي سبعة قرون، وكان حكمًا صارمًا مستبدًا. وهكذا تتوالى عليهم الذلة والهوان على الناس بما اقترفوا من الآثام.

ولما نزل رسول الله المدينة كانت اليهود والمشركون من أهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فأمرهم الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح، فقال تبارك وتعالى: "وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (آل عمران: ١٨٦).

كان الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ثلاثة أقسام: قسم صالحهم، ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يُظاهروا عليه عدوّه، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم.

وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة.

وقسم تاركوه فلم يُصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه.

فصالح يهود المدينة وكتب بينه وبينهم كتاب أمن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع وبني النَّضير وبني قريظة، فنقض العهد الجميع، وكان آخر هؤلاء يهود خيبر وهم أبعد طوائف اليهود من المدينة.

ولما نزلت سورة «براءة» نزلت ببيان هذه الأقسام كلها، فأمره الله تعالى أن يقاتل عدوّه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في دين الإسلام، وأمره بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، فجاهد

Upload by: altawhedmag.com

الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان.

وكان أول من نقض العهد بنو قينقاع

فلمّا قدم النبي صلّى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا وادعته يهود كلّها، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وألحق كلّ قوم بحلفائهم وجعل بينه وبينهم أمانًا، وشرط عليهم شروطًا: منها: ألّا يظاهروا عليه عدوًّا، فلما كان يوم بدر كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد، وأظهروا البغي والحسد، وقطعوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد.

فجمعهم بسوق بني قينقاع وقال: «يا معشر يهود أسلموا، فو الله إنكم لتعلمون أني رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النّقمة فأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنّي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

قالوا: يا محمد إنك ترى أنّا مثل قومك، لا يغرّنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمنّ أنّا نحن النّاس.

قال ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق: ما أنزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم: "قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران ١٢، ١٣)؛ فبينما هم على ما هم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد قدمت امرأة من العرب بجلب لها، فباعت بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها لحليّ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها من ورائها فحلّه بشوكة وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا. وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، ونبذوا العهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، وغضب المسلمون فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع. وأنزل الله سبحانه وتعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ" (الأنفال ٥٨).

وأما بنو النّضير

فقد أنزل الله فيهت سورة الحشر وبين ما وقع فيهت من أحداث فقال: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ" (الحشر: ١-٣).

فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئًا، وجاءهم ما لم يكن ببالهم، وسيّرهم رسول الله وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر. وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم. (تفسير ابن كثير).

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي-صلى الله عليه وسلم- فأمّنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة. (البخاري ٤٠٢٨، ومسلم ١٧٦٦).

Upload by: altawhedmag.com

وأما بنو قريظة فقد ظاهروا قريشًا وأعانوهم على حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونقضوا العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما أجدى ذلك عنهم شيئًا وباءوا بغضب من الله ورسوله، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة. قال الله سبحانه وتعالى في شأن قريظة وما فعلوه من إعانة المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحزاب: "وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا" (الأحزاب ٢٥: ٢٧).

وحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله فيهم فقال: "فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم" (أخرجه البخاري: ٤١٢٢).

ثم كانت خيبر وهي آخر ما تبقى من معاقل اليهود في المدينة وما حولها

فأتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" (البخاري ٤١٩٧).

فسار صلى الله عليه وسلم إليها، واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي فلما انتهى إليها حاصرها حصنًا حصنًا يفتحه الله عز وجل عليه ويغنمه، حتى استكملها صلى الله عليه وسلم وخمّسها، وقسم نصفها بين المسلمين، واستعمل اليهود الذين كانوا فيها بعد ما سألوا ذلك عوضًا عما كان صالحهم عليه من الجلاء على أن يعملوها ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف مما يخرج منها من ثمر أو زرع، فكانوا أجراء على الأرض خدامًا للمسلمين، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، قال: فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال:

"يا أعداء الله، أتُطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم"، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. (صحيح ابن حبان: ٥١٩٩).

فكانوا فيها حتى أجلاهم عمر ولم يبق أحد من اليهود في جزيرة العرب كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، واني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله» (البخاري ٣١٦٧).

فكان الجلاء من جزيرة العرب ولم يدم بقاؤهم في المدينة بعده صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً حتى طهّر عمر رضي الله عنه ما بقي منهم، ولم يعبد في جزيرة العرب غير دين الإسلام وتحقق وعد الله لنبيه: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا" (الأحزاب: ٦٠).

ومعنى لنغرينك: أي: لنسلطنّك عليهم.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسلط على رقاب المنافقين واليهود ومن عاونهم حتى أتم الله له دينه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده: فاللهم طهّر بلادنا من دنس اليهود والمنافقين.

وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

القصد مع الشنآن

إعداد: د. أحمد سليمان
رئيس فرع البيسو

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن ميزان العدل يجب ألا يميل مع الهوى، ولا يتزحزح مع العصبية، ولا يتأرجح مع العداوة، ولا يحيف مع الشنآن. قال الله تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢).

أي: لا يحملنكم بُغض قوم كانوا قد صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، على أن تعتدوا في حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلمًا وعدوانًا، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في كل أحد. فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد في كل حال.

وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه، والعدل به قامت السماوات والأرض.

وفي موضع آخر من نفس سورة المائدة يؤكد على هذا المعنى في كل حال ومع كل نفس مؤمنة وغير مؤمنة.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (المائدة: ٨).

وللإمام الطبري كلام نفيس حول الآية إذ يقول: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا

فيه بأمري، ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

قال شيخ الإسلام: "وهذه الآية نزلت بسبب بُغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به. فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق ألا يُظلم، بل يُعدل عليه". (منهاج السنة ١٢٧/٥).

والشنآن هو: البغض وقد يكون بأسباب مشروعة كبغضنا لغير أهل ملتنا، وكذا بغضنا لمن يخالفوننا في معتقد أهل السنة والجماعة فمالوا إلى بدعة أو عصبية جاهلية، ومع ذلك أمرنا بالعدل فيهم وألا نجور عليهم.

وقد ابتلينا في زماننا هذا بأناس طُبعوا على الذم والوقيعة، والشتم وقبح الطليعة، والإسقاط لكل من لم يدخل حزبهم فبادروا بهم الوقيعة، وكأنهم قد طبعوا على سوء الظن بالخليقة.

فحالهم كحال جرو ذيب رُبي في حظيرة الشياه الوديعة، لكن طبعه لم يتأثر بما رأى من السكينة، فلما شبّ أكل التي أرضعته وما حفظ لها جميلة

أكلت شويهة وفجعت قومًا
بشاتهم وأنت لهم ربيبُ
غُذيت بدرّها ورويت منها
فمن أنبأك أنّ أباك ذيبُ
إذا كان الطباع طباع سوء
فليس بنافع أدبُ الأديب

وأهل السنة العاملون بها أعظم الناس إنصافًا وعدلاً حتى مع من أساء إليهم، فلا يقابلون السيئة بالسيئة بل يدفعونها بالحسنى.

قال شيخ الإسلام: "هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وإن تعدى حدود الله في تكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية. فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه. قال الله تعالى «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» (مجموع الفتاوى ٢٤٥/٣).

وإذا كان الإسلام قد أنصف أهل الذمة أفلا ننصف أهل الملة؟!

ذهب عبد الله بن رواحة ليخرص ثمار اليهود، فأرادوا أن يدفعوا له الرشوة، وكأنهم ظنوا أنه سيحيف عليهم ويظلمهم لأنهم أعداء المسلمين، وهم جهلة بأخلاق من رباهم النبي الأمين.

فعن جابر بن عبد الله، أنه قال: " أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة، فخرصها عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إلي، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بُغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، قد أخذنا، فاخرجوا عنا" (أخرجه أحمد في مسنده ١٤٩٥٣).

ومن مواقف شيخ الإسلام في قتاله التتار أنه طلب فكاك كل الأسرى من المسلمين واليهود والنصارى وقال للتتار: "وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقطلو شاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يُطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا: فإنا نفتكهم ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله". (مجموع الفتاوى ٦١٦/٢٨).

أهل العدل يقبلون الحق حتى لو خرج من كافر

وقد أخرج أحمد بسند صحيح إلى قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون،

قال: "سبحان الله، وما ذاك؟". قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ثم قال: "إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة". ثم قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله ندًّا، قال: "سبحان الله، وما ذاك؟". قال: تقولون ما شاء الله وشئت. قال: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ثم قال: "إنه قد قال، فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت" (السلسلة الصحيحة ١١٦٦).

وفي الحديث دلالة واضحة على قبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًا مخالفًا في الدين.

وشواهد هذا ونظائره في الدين ظاهرة، وعلى هذا فكل من دخل دائرة الإسلام لهم علينا حقوق وواجبات وإن عصوا أو ابتدعوا فلا نسلمهم للكفرة ولا نخذلهم في مواطن النصرة طالما لم يخرجوا من دائرة الإسلام بردة أو شرك أو زندقة.

قال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن الفرقة الناجية والفرقة الهالكة: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقائت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك؛ فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا وقد لا يكون ناجيًا كما يقال من صمت نجا. (مجموع الفتاوى ٣/١٧٩).

أهل السنة قد يخشنون لإخوانهم لكن لا يبترون

من أجمل الأوصاف التي ذكرها شيخ الإسلام- رحمه الله- مع من خالفه أو وقعت بينه وبينه مشادة أنه لا يحمل في قلبه غيظًا لأحد خالفه بل بقي باب الود والمحبة والنصيحة قائمًا.

قال رحمه الله: وتعلمون أيضًا: أن ما يجري من نوع تغليظ أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان: ما كان يجري بدمشق ومما جرى الآن بمصر فليس ذلك غضاضة ولا نقصًا في حق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ولا بغض. بل هو بعد ما عُومل به من التغليظ والتخشين أرفع قدرًا وأنبه ذكرًا وأحب وأعظم، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين التي يصلح الله بها بعضهم ببعض، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى. وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة؛ لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين. وتعلمون: أنا جميعًا متعاونون على البر والتقوى واجب علينا نصر بعضنا بعضًا أعظم مما كان وأشد. فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب أو الإخوان لما قد يظنه من نوع تخشين- عُومل به بدمشق أو بمصر الساعة أو غير ذلك- فهو الغالط. وكذلك من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر فقد ظنّ ظنّ سوء، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما غاب عنا أحد من الجماعة أو قدم إلينا الساعة أو قبل الساعة إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجل وأرفع. (مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٣).

فانظر إلى هذا الإمام المقدم عند أهل السنة، وانظر إلى من يدّعي اليوم أنه حام للدين وناصر لما اعوج من الصراط المتين، نراهم قد سلطوا لسانهم وسيفهم على المؤمنين، وقد سلم منهم كل طوائف الهالكين، وانبروا للطعن بالهوى وليسوا من العلم بمكان مكين، وبضاعتهم نقد وطعن فقد خلت لهم الميادين. فحالهم إلى زوال سيُستعملون ثم يُهجرون كالمناديل، ويبقى في الأمة المقسطون وهم على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، ولا يميلون ميل المتعنتين. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

الوصايا الخمس بمسجد القدس

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:
فلو رجعنا إلى عبق الماضي وتدبرنا آثار الأنبياء، وما تركوه لنا من المشاهد البارزة في الأرض المباركة، لرأينا أن أعظم تركة تركها لنا الأنبياء هي المسجد الأقصى، فقد تتابع على بنائه وعمارته أنبياء الله؛ منهم من رفع قواعده، ومنهم من جدد حوائطه، ومنهم من ألقى فيه خطبه مواعظه، وكان أعظم اجتماع للصلاة على وجه الأرض في رحابه؛ إذ جمع الله كل الأنبياء في ليلة بهية، وأسرى بعبده من مكة الزكية، واجتمع الأنبياء كلهم فأمهم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم البرية، وعلا دين الإسلام على كل شرعة منزلة، وختمت الرسالات بشرعة الإسلام المطهرة.

فأول من بنى البيت المقدس إبراهيم الحنيف؛ فعن أبي ذر، قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال «المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه» البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

ومرت سنوات طوال والأنبياء يتعهدون المسجد ويقومون برعايته، فلما وقع هدم في مواضع منه جدده سليمان صلى الله عليه وسلم؛ فعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا: حكما يصادف حكمه، وملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة" أخرجه ابن ماجه (١٤٠٨) وهو حديث صحيح، وقد حققته في موسوعتي بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية.

وتمر القرون وينشأ عيسى ويحيى عليهما السلام ويولدان في رحاب المسجد الأقصى، وكانا يتعبدان فيه ويعلمان الناس الحكمة، وفي يوم أوحى الله إلى يحيى بن زكريا بوحي من السماء وأمره أن يبلغه لبني

Upload by : altawhedmag.com

إسرائيل فجمع الناس في القدس ودخلوا المسجد الأقصى وكانت هذه الوصايا الإلهية.

عن الحارث الأشعري، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف.

فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله آمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم.

وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة، والجهاد والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب قلت: والحديث صحيح. وانظر موسوعة بيت المقدس.

أول الوصايا:

توحيد الخالق وعبادته، فالمشرك كافر بنعمة الله عليه، جاحد لمن بيده ملكوت كل شيء، فهو يعيش متقلبًا في نعم الله ومع ذلك يؤدي شكر هذه النعم لغير مسديها، فمن من الناس يرضى لعبده أو خادمه أن يعمل عنده ثم تراه باذلاً خيره لغيره، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)، فهو الديوان الذي لا يمحى، والذنب الذي لا يغفر، وكل أعمال البر لا تقبل إلا بالانخلاع من الشرك وإلا فالباب مؤصد.

والوصية الثانية:

بالصلاة وهي ركن الإسلام الثاني، ولا بد من أدائها بغير التفات بالقلب والوجه وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه. ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالاً وقد

Upload by : altawhedmag.com

انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا قد سقط من عينيه؟ كذلك الصلاة تقبل من العبد بقدر خشوعه وعدم التفاته في صلاته.

والوصية الثالثة:

بالصيام وكل شرعة لها طريقتها في الصيام، والصيام عمل غير ظاهر كالمسك في جرابه مخبوء تحت الثياب، فالصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث.

فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب.

والوصية الرابعة:

الأمر بالصدقة، ولها تأثيرها العجيب في دفع البلاء واستمطار الرحمات، وكلما ضاقت اليد وسخت النفس بالعطاء كان الجزاء أوفر، عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، أيُّ الصدقة أفضل؟ قال: "جُهْدُ المُقِلِّ، وابدأ بمَنْ تَعُولُ. سنن أبي داود (١٦٧٧) وصححه الألباني. ومن الابتلاءات التي لابد للعاقل أن يتخطاها: العقبة الكؤود التي لا تفك إلا بالصدقة قال الله تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)» (البلد: ١١- ١٦). أخبر سبحانه وتعالى أن الفكاك من العقبة: بفك الأسير، أو الإطعام عند الشدة والمجاعة والغلاء وقلة الطعام وغلو الأسعار، وخص بالذكر اليتيم القريب والمسكين الملصق بالتراب لفقره ومسكنته.

الوصية الخامسة:

الأمر بذكر الله تعالى والعبد لا يصلح حاله إلا بذكر الله، ولن ينجو من وساوس الشيطان وتلبيسه إلا بالذكر ولا ترى عملا من الأعمال أمرنا الله تعالى بالإكثار منه كما أمر بذكره سبحانه وتعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب:٤١)، وقال: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب:٣٥). وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب أكثر من مائة فائدة للذكر فانظرها غير مأمور.

وقد عقب النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الوصايا بخمس وصايا أخرى جامعة وهي: السمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة.

وما يجري للأمة اليوم من تفرق واختلاف، وضعف وإسفاف، واقتتال واستخفاف، وافقار واعجاف؛ ما هو إلا ثمرة من ثمرات الإعراض عن اتباع السنة الغراء، وما تركت الأمة هدي نبيها إلا استحوذ عليها الأشقياء، ونالت منها الأمم الهالكة بغير عناء. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» آل عمران:١٠٢-١٠٥.

نسأل الله أن يجمع الأمة على كتاب ربها وسنة نبيها، وأن ينزع منها الشقاق والاختلاف، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

Upload by : altawhedmag.com

الغارة على رمضان

إعداد
د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الغارة على شهر رمضان منهج أهل الضلال والهوى والخلاعة، نعم إنها غارة على العبادة فيه بكل أنواع أسلحة الفتن والضلالات، واللهو والمغريات، والأفلام والمسلسلات، والفوازير والأحجيات، فإن ملوا من كل هذا شغلوهم بالطبخ والمأكولات.

في سلسلة لا متناهية من تضييع الأوقات، واهمال القربات، في شهر تميز بالعفو ومحو الزلات.

لما علم أعداء الله مكانة رمضان في الدين، سلطوا سهامهم على شهر رمضان، وأعدوا العدة للانقضاض على روح العبادة في هذا الشهر بأنواع المعاصي، أصبح الآن قدوم رمضان مجالاً ومناسبة وفرصة للمعاصي بأنواعها، إنه مخطط منظم من أعداء الإسلام لتفريغ رمضان من محتوياته، ولأنه شهر توبة وعبادة فلا بد من الإغارة عليه بكل أنواع الإذاعة، ولا بد من تفريغه من محتوياته، ولا بد من منع تأثيره على الناس وعزل هذه الروح العظيمة في هذا الشهر عن الناس، لئلا يتنسموا حلاوة الطاعة، ويتذوقوا روح الاجتماع والجماعة، ويشهدوا صلاة القيام ويروحوا بين الأقدام في تهجد وقيام قد طال انتظاره.

إن المؤمنين يترقبون هذا الشهر الفضيل بفارغ الصبر والجد، وكلما اشتاق العبد لرمضان كلما دل على زيادة إيمانه، ففي رمضان تجتمع كثير من صنوف العبادة، ففي رمضان الجمع بين القيام والصيام واطعام الطعام وهي من أسباب دخول الجنان، وتلاوة القرآن وهي أقرب الطرق الموصلة إلى الرحمن، فهو شهر القرآن والذكر وحفظ الجوارح والأركان.

فالصائم كما هو مأمور بترك المفطرات الحسية من الطعام والشراب وسائر المفطرات، فهو أيضا مأمور بحفظ الجوارح عن المنهيات، وغالب الناس يحافظ على ترك ما يفطره من المفطرات المعلومة لأن الصيام في الأصل هو التعبد لله تعالى بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لكن الكثير يغفل عما يفسد صومه ويقطع عليه أجره؛ فيقع في المنكرات، وينهمك في الملذات، ويسرف في المباحات، ويظن أنه قد صام صيامًا يرفعه يوم القيامة درجات، ولا يعلم أن الأجر على قدر التقوى، والثواب على قدر التحرز من الموبقات.

وقد تكلم أهل العلم على كل أنواع المفطرات وبينوا حكمها:

قال ابن المنذر: لم يختلف أهل العلم أن الله عزّ وجلّ حرم على الصائم في نهار الصوم الرفث، وهو الجماع، والأكل، والشرب. وأجمع أهل

Upload by : altawhedmag.com

العلم على أن على من استقاء في نهار الصوم عامداً القضاء. الإشراف (٣/١٢٠).

وتصل المفطرات إلى ثمانية أقسام وهي:

١-الجماع: وإذا وقع في نهار رمضان من صائم يجب عليه الصوم، فعليه مع القضاء كفارة مغلظة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

٢- إنزال المني يقظة باستمناء أو مباشرة أو تقبيل أو ضم أو نحو ذلك.

٣- الأكل أو الشرب سواء كان نافعاً أم ضاراً كالدخان.

٤- حقن الإبر المغذية التي يُستغنى بها عن الطعام؛ لأنها بمعنى الأكل والشرب. فأما الإبر التي لا تغذي؛ فلا تفطر سواء استعملها في العضلات أم في الوريد، وسواء وجد طعمها في حلقه أم لم يجده.

٥ - حقن الدم مثل أن يحصل للصائم نزيف فيحقن به دم تعويضا عما نزف منه.

٦- خروج دم الحيض والنفاس.

٧ - إخراج الدم بالحجامة ونحوها. وهي مسألة خلافية بين أهل العلم لكن احتياطا تترك خروجًا من الخلاف.

٨ - القيء إن قصده، فإن قاء بغير قصد لم يفطر.

فهذه الأنواع مما تكلم عليها أهل العلم ليجتنبها الصائم، لكن لا بد أن يعلم أن المقصود من ترك كل هذه المفطرات والتنزه عنها لتحقيق التقوى والامتثال لأمر الله تعالى.

قال ابن القيم: المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين.

وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم. زاد المعاد (٢/٢٦).

فلا بد للعاقل أن يعرف الحكمة والغاية من العبادة، فلا يكن يوم صومه كيوم فطره، بل يستعد لشهره استعداد العابدين، ويترك طريق الغافلين، ويسلك مسلك المجتهدين، فلا يرى إلا مع العابدين، ولا يجلس في مجالس اللهو مع اللاهين ولا يشارك في باطل مما يدور في الميادين

ولا ينطق بباطل وإن جهل عليه جاهل فليرد عليه بقوله: إني صائم فلا أفسد حرمة اليوم. هذا هو الدين القويم.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الصيام، وأنه وقاية للعبد من اللغو والرفث، وجُنة من الجهل والسفه، وأن الصائم إن لم يحافظ على صيامه من المعاصي فالله غني عن جوعه وظمئه واحتياجه.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» صحيح البخاري (١٩٠٣).

قال شيخ الإسلام: الله تعالى أمر بالصيام لأجل التقوى، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»؛ فإذا لم تحصل له التقوى لم يحصل له مقصود الصوم فينقص من أجر الصوم بحسب ذلك.

والأعمال الصالحة لها مقصودان: حصول الثواب، واندفاع العقاب.

فإذا فعلها مع المنهيات من الغيبة والنميمة وأكل الحرام وغيره فاته الثواب.

فقول الأئمة: لا يفطر، أي لا يُعاقب عقاب المعلن بالفطر.

ومن قال: إنه يفطر بمعنى أنه لم يحصل له مقصود الصوم أو قد يذهب بأجر الصوم فقوله موافق لقول الأئمة. مختصر الفتاوى المصرية (١/٢٨٩).

ونقل الحافظ عن السبكي الكبير قوله: الرفث والصخب وقول الزور والعمل به. مما علم النهي عنه مطلقًا والصوم مأمور به مطلقًا، فلو كانت هذه الأمور إذا حصلت فيه لم يتأثر بها لم يكن

Upload by : altawhedmag.com

لذكرها فيه مشروطة فيه معنى يفهمه. فلما ذكرت في هذين الحديثين نبهتنا على أمرين أحدهما: زيادة قبحها في الصوم على غيرها.
والثاني: البحث على سلامة الصوم عنها وأن سلامته منها صفة كمال فيه وقوة الكلام تقتضي أن يقبح ذلك لأجل الصوم، فمقتضى ذلك أن الصوم يكمل بالسلامة عنها.
قال: فإذا لم يسلم عنها نقص. ثم قال: ولا شك أن التكاليف قد ترد بأشياء وينبه بها على أخرى بطريق الإشارة وليس المقصود من الصوم العدم المحض كما في المنهيات، لأنه يشترط له النية بالإجماع، ولعل القصد به في الأصل الإمساك عن جميع المخالفات. لكن لما كان ذلك يشق خفف الله وأمر بالإمساك عن المفطرات ونبه الغافل بذلك على الإمساك عن المخالفات وأرشد إلى ذلك ما تضمنته أحاديث المبين عن الله مراده فيكون اجتناب المفطرات واجبًا، واجتناب ما عداها من المخالفات من المكملات. فتح الباري(٤/١٠٤).
فالأئمة -رحمهم الله- تكلموا على كل مسألة يترتب عليها الفطر والقضاء والكفارة ولم يهملوا جانب التقوى في العبادة، وأن العابد لا بد أن يتمسك بالطاعة حال تلبسه بالعبادة والا فما فائدة العبادة إن لم تحقق التقوى والامتثال والهداية والقناعة.
فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى. كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والصَّوْمُ جُنَّةٌ» البخاري (٧٤٩٢)، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.
والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة؛ شرعه الله لعباده رحمة بهم، واحسانا إليهم وحمية لهم وجنة. زاد المعاد (٢/٢٧-٢٨)
وقال ابن الملقن: حكم الصائم الإمساك عن الرفث وقول الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد نقص صيامه، وتعرض لسخط ربه تعالى وترك قبوله منه. وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه إذا لم يدع قول الزور، وانما معناه التحذير من قول الزور، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: "من باع الخمر فليشقص الخنازير" يريد: أي: يذبحها. ولم يأمره بشقصها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر، فكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به ليتم أجر صيامه.
وفي كتاب "الرقاق" لابن المبارك عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء. التوضيح(١٣/٧٧)
وورد عن عمر قوله: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، لكنه من الكذب والباطل واللغو. رواه ابن أبي شيبة (٨٨٨٥).
نعم الصحيح من أقوال الفقهاء أن الغيبة والنميمة واللغو لا تفطر الصائم، لكن شتان بين صيام وصيام، وقيام وقيام، وصلاة وصلاة.
قال ابن الملقن: وكذا قال ابن بطال: اتفق جمهور الفقهاء على أن الصائم لا يفطره السبّ والشتم والغيبة، وإن كان مأمورًا أن ينزه صيامه عن اللفظ القبيح، ثم نقل عن الأوزاعي أنه يفطره السبّ والغيبة، واحتج بما روي أن الغيبة تفطر الصائم، وكذا قال القرطبي.
قال: وبه قال الحسن فيما أحسب. وقال ابن القصار: معناه: أنه يصير في معنى المفطر في سقوط الأجر لا أنه أفطر في الحقيقة. التوضيح (١٣/٧٧)
فالمقصود الأعظم من الصيام تحقيق التقوى؛ لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال طمعًا في مرضاة الله، وخوفًا من أليم عقابه، فمن باب أولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سببًا للتقوى.
نسأل الله تعالى أن يُبلغنا رمضان، وأن يرزقنا صومه وقيامه والفوز برضوانه سبحانه.
وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

المسلسلات بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم

أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: ففي أزمان قد خلت كان أهل العلم سادة الزمان، ونجوم المكان، ورواد الحضارة وارتفاع البنيان، وهم مشاهير الأجواء، والمؤثرون على عقول الشباب والآباء، وقد اجتمع الناس حولهم في كل فناء، وتعلموا منهم العلم بل ونقلوا عنهم الأنباء. وقد تفننوا في كل علوم الشريعة الغراء، وأتوا بتفاصيل العلوم وجلسوا للإقراء.

وكان سيد العلوم علم الحديث وقد رحلوا في طلبه، واجتهدوا في جمعه، ودأبوا على حفظه، وأمعنوا في ضبطه، وبعد ما حقّقوا طريقه انشغلوا بلطيف سنده من حيث رواية الأصحاب ومن روى عنهم من الأقران، والأبناء عن الآباء، والسابق واللاحق وغيرها من الأنواع.

ومن هذه اللطائف معرفة المسلسلات وقد عدوها من أنواع علوم الحديث، بل ومن المهمات، وهي عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة.

وينقسم ذلك إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم، كأن يتسلسل الحديث بصفة لهم: كقبض الأصابع أو الجلوس أو الإشارة، وقد يتسلسل بصفة للرواة كالمسلسل بالقراء وبالحفاظ وبالفقهاء وبالنحاة وبالصوفية وبالدمشقيين وبالمصريين ونحو ذلك؛ كالمسلسل بالمحمدين، أو بمن أول اسمه عين، أو بمن في اسمه أو اسم أبيه أو نسبه أو غيرهما مما يضاف إليه نون، أو برواية الأبناء عن الآباء، أو بالمعمرين، أو بعدد مخصوص من الصحابة يروي بعضهم عن بعض، أو من التابعين كذلك. انظر فتح المغيث(٤/٣٨).

ولهذا النوع من علوم الحديث تفاصيله وأقسامه وأمثلته ودرجاته تراجع في موضعها من علوم الآلة، لكن الغرض هنا بيان أهمية تفاصيل العلم في أيام عزة أهل العلم والرواية، يوم أن كان العالم إذا نزل بلدة ضاقت البلدة بأهلها احتفاء به وتقديرًا لعلمه وحبًا في سماعه والتعلم منه.

روى الخطيب البغدادي بإسناده عن البخاري قال: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم

Upload by : altawhedmag.com

بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى أيضًا عن يحيى بن أكثم، قال: قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين. قال: فتعرف أجل مني؟ قلت: لا. قال: لكني أعرفه: رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: قلت: يا أمير المؤمنين هذا خير منك، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي عهد المسلمين؟ قال: نعم". ويلك، هذا خير مني، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يموت أبدًا. نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر. شرف أصحاب الحديث (ص١٠٠).

أما في زماننا فعندما تسمع المسلسلات فلا يتوارد في أذهاننا غير قصص الحب والروايات، وأخبار اللاهين واللاهيات، والممثلين والممثلات خاصة في موسم الذكر والقربات.

وقد أخذت المسلسلات اليوم من طاقة الأمة المال والأوقات، وأضحى أهلها تسبغ عليهم النعم وترفع عنهم العقوبات، وعظم التأثر بمشاهدتهم بل صاروا مصدر العلم والتاريخ وكل الثقافات، وتشكل الشباب بما يبث على الشاشات في كل الحلقات، مع أن عملهم ما هو إلا محاكاة لما يملى عليهم وإن اشتمل على أي آفة ومنكر بل وخرم للمروءات.

وقديمًا كان يعرف التمثيل بخيال الظل الذي عرفه العلامة عبد السلام هارون بقوله: وهو الأصل الأول للسينماء المعاصرة: إذ تتحرك الأشخاص والأشكال خلف ستر، وقد سلط عليها الضوء، فتبدو صورها متحركة من خلف الستر.. ومن أقدم النصوص التي سجلت فيها هذه الظاهرة، قول ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

وللعلامة بكر أبو زيد رحمه الله بحث ماتع حول هذه النازلة في رسالته حكم التمثيل، وقال فيها: إذا علمت أن التمثيل منقطع الصلة بتاريخ المسلمين في خير القرون، وأن وفادته إليهم كانت طارئة في فترات، وأنه في القرن الرابع عشر الهجري استقبلته دور اللهو، وردهات المسارح، ثم تسلل من معابد النصارى، إلى فريق التمثيل الديني في المدارس، وبعض الجماعات الإسلامية. إذا علمت ذلك فاعلم أن قواعد الشريعة وأصولها، وترقيها بأهلها إلى مدارج الشرف والكمال تقضي برفضه، ورده من حيث أتى، وهذا بيانها:

أولاً: معلوم أن الأعمال، إما عبادات أو عادات.

فالأصل في العبادات لا يُشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات لا يحظر منها إلا حظره الله.

وعليه: فلا يخلو التمثيل، أن يكون على سبيل التعبد التمثيل الديني، أو من باب الاعتياد، على سبيل اللهو والترفيه.

فإن كان على سبيل التعبد، فإن العبادات موقوفة على النص وموردة، والتمثيل الديني لا عهد للشريعة به، فهو سبيل محدث، ومن مجامع ملة الإسلام قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وأما إن كان التمثيل في العادات، فهذا تشبه بأعداء الله الكافرين، وقد نهينا عن التشبه بهم، إذ لم يعرف إلا عن طريقهم، والنهي عن التشبه بهم أمر بمخالفتهم، وقد نهى الله سبحانه عن الخوض فيما يخوضون فيه، فقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (التوبة: ٦٩).

ثانياً: لا يخلو التمثيل أن يكون أسطورة متخيلة، فهذا كذب، والنفوس واجب ترويضها على الصدق، ومنابذة الكذب، والأساطير المختلقة المكذوبة، تشرب النفوس الكذب، وعدم التحرز منه.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: "ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له، ويل له" - رواه أحمد، والترمذي، والحاكم وحسنه الألباني.

أو أن يكون التمثيل حقيقة بتمثيل معين، فهذا محاكاة، والمحاكاة منهي عنها بإطلاق، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى

Upload by : altawhedmag.com

الله عليه وسلم - قال: "ما أحب أني حكيت إنسانًا، وأن لي كذا وكذا" رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن الجعد وصححه الألباني.

قوله: (حكيت إنسانًا) أي: قلدته في حركاته، وأقواله فهي غيبة فعليه، وهي كالغيبة القولية في التحريم سواء.

ثالثًا: المروءة من مقاصد الشرع، وخوارمها من مسقطات الشهادة قضاء، والشرع يأمر بمعالي الأخلاق، وينهى عن سفاسفها. فكم رأى الراءون الممثل يفعل بنفسه الأفاعيل، في أي عضو من أعضائه، وفي حركاته، وصوته، واختلاج أعضائه، بل يمثل: دور مجنون، أو معتوه، أو أبله، وهكذا.

وقد نص الفقهاء "في باب الشهادة" على سقوط شهادة "المضحك" و "الساخر" و "المستهزئ" و"كثير الدعابة". وهذا منتشر في كلام الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم.

وذكر رحمه الله جملة وافرة على حرمة هذا الصنيع المحدث ثم ختم بحثه فقال:

والخلاصة أن التمثيل: حرفة، وأداء، وتكسبًا، وعرضًا، ومشاهدة، لا يجوز.

لأنه إن كان تمثيلا دينيًا فهو بدعي: لوقف العبادات على النص وموروده، ولما علمت من أصله لدى النصارى واليونان.

وإن كان غير ذلك، فهو لهو محرم: لما فيه من التشبه، ولما رأيته من تفاريق الأدلة، وما يحتوي عليه، ويترتب عنه من الآثار المعارضة لآداب الشريعة، وناموس الترقي، وانحلال ربقة الآداب، وأن ما فيه من عظات، وفضائل مزعومة، فهي ضائعة مغمورة في حلبة تلك الملهيات التي توقظ نائم الأهواء، وتحرك ساكن الشهوات. كما ينطق به الواقع المرير، لتمرير الفحش والخناء، والفسوق والعصيان، وتهديم البيوت داخل أسوارها.

فهو يمثل مخاطر على العقائد، والأخلاق، والفضائل، والآداب.

وبالجملة فإن انتشار التمثيل بصفته التي تشاهد وتسمع كل يوم وليل، يمثل اعتلالا في الأمة، ونهمًا في اللهو واللعب، ووهنًا في الدين، وفراغًا من العلم، وعجزًا عن تحصيله، وتحطيمًا للأمة في قوتها ووقتها وتنمية طاقاتها ومواهبها، فما هي إلا وسيلة عدوان على الأمة، وتخطيط رهيب لتعيش سادرة، تخوض فيما لا ينفعها في دينها ولا في دنياها، بل هو ضرر محض عليها في الدين والدنيا.

وإفساد الإنسان، وانهيار أخلاقه، بغرض السيطرة عليه: مخطط تخريبي، يهودي.

وفي (بروتكولات يهود): يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إن (فرويد) منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه) انتهى.

والتاريخ يحفظ في سطوره أن الهيام في المضحكات والترفيهات من علائم الانحطاط وانقراض الدول.اهـ

إن الأمم لن تنهض إلا بالعلم الموروث من الكتاب والسنة النبوية، وليس من المسلسلات والأفلام ومواقع التسلية، فهي والله باب عظيم للفتنة الدهماء، وذياع صيت الأدعياء، واخمال ذكر الأولياء.

وعلى المسلم أن يغلق باب الفتنة وأسبابها فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الدخول فيها فقال في حديث النواس بن سمعان قال: ضرب الله تعالى مثلا صراطا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس! ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم. أخرجه الترمذي (٢٨٥٩).

فلا تفتح الحلقة الأولى لأنها ستجرك إلى باقي الحلقات، وانك لو فتحت لانفتح لك باب من المتابعة والاسترسال، والمشاهدة والاهتمام، وتقديمها على سائر الأعمال والمسؤوليات.

فاللهم إنا نسألك أن تصرف عن الشر الأشرار وكيد الفجار. وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

شرف الانتساب للسلف

إعداد
أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،
فمن الحق الذي ينبغي الاعتراف به أن سلفنا الصالح لهم علينا منة وفضل كبير بعد الله، فقد كانوا سببًا عظيمًا في تعريفنا وربطنا بالأوائل من الصالحين، فمن الوفاء الاعتراف بفضلهم وذكر محاسنهم وتعريف الأمة بهم، لتبقى هذه الأمة متصلة بأصولها، معتزة بنضال رجالها ممن نصروا عقيدة السلف، وعليها عاشوا، وفي سبيل نشرها قاتلوا وماتوا، فالسلفية ليست مذهبًا حادثًا ولا طريقة مبتدعة وأحزابًا مخترعة، وإنما هي امتداد لمنهاج النبوة ومن تبعهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

فهم المجددون حقًا، والقائمون على أمر الله جدًا، والداعون إلى السنة أبدًا، والمحاربون للبدع دومًا، فلله درهم وعلينا شكرهم فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

وليعلم الجميع أنهم هم الأصل وأن الأسماء الحادثة من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة... ما لهم من وصل، فإنما ينتسبون إلى رجال ظهروا بعد تمام الدين واستقراره في كل مصر، فنشروا مذاهبهم وتبناها ودعا لها أهل القصر من أمراء وقضاة ودعاة زاغوا عن الحق وخالفوا أهل القصد، فهؤلاء على الأمة دخلاء، وللبدع أدلاء، وعلى أهل الحق أعداء.

فمن اللازم رد أهل الأهواء والانتصار للصحب والآل ونصرة السلفيين البراء والمتمسكين بالحق الأقوياء.

ولا يمر زمان إلا ويخرج علينا بين الفينة والأخرى أحمق، يجلس على أريكته خلف قناته وهو يملئ فيه يتشدق، مدعيًا تبرؤه من منهج السلف لما يرى من نقد لاتجاهات عصرية تسمت باسم السلفية، فاتخذها ذريعة للنيل من المنهج الأنور والطريق الأزهر.

وكأن السلفية منهج جديد، أو فكر سياسي بليد، أو حزب له مآرب يدخل فيه كل مريد، هيهات هيهات فالسلفية هي الامتداد الحق لمنهج النبوة وتواصل بين الأجيال المتمسكة بالكتاب والسنة.

قال السفاريني: المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق، لكن لما كان فشو البدع وظهورها بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم، وزاد البلاء، وأظهر المأمون القول بخلق القرآن، وظهر مذهب الاعتزال ظهورًا لا مزيد عليه؛ بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق، وكان الذي قام في نحورهم، ورد مقالتهم، وإبطال مذهبهم وتزييفه، وذم من ذهب إليه، أو عول عليه، أو انتمى إلى ذويه، أو ناضل عنه، أو مال إليه سيدنا وقدوتنا الإمام المبجل، والحبر البحر المفضل، أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، نسب مذهب السلف إليه، وعول أهل

Upload by : altawhedmag.com

عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه، وإلا فهو المذهب المأثور، والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين، وأعيان الأمة المتقدمين. (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ١/ ٢١).

والسلفية لا ترتبط بزمان خاص بل هي منهاج عام، وإن كان الإطلاق على مذهب السلف يعني في المقام الأول أهل القرون الأولى الفاضلة، ولكن هذا لا يعني أن كل من كان في هذه القرون يعد سلفيا إلا إذا كان متمسكا بما عليه السلف الصالح.

وإذا نظرنا في أهل البدع سنرى كثيرًا منهم ظهر في القرون الأولى الفاضلة: فقد خرجت الخوارج في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حيث اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧ هـ فكان بداية خروجهم.

وفيها ظهر التشيع والرفض على يد ابن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام وزعم محبة آل البيت.

وفيها نبتت فتنة القدرية على يد معبد الجهني "ت ٨٠ هـ".

وفيها أيضًا ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان الدمشقي "ت ١٠٥ هـ".

وفيها نجم قرن التجهم، والاعتزال: فعاش في هذا الوقت: الجعد بن درهم "ت ١٢٤هـ" أستاذ الجهم بن صفوان "١٢٨ هـ" زعماء الجهمية الأوائل منكري الصفات كما عاش فيه واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة الأول "ت ١٣١ هـ".

كذلك فإن السلفية باقية بعد انقضاء القرون الثلاثة الأول لأنها ليست مسمى حادث بل هي امتداد طبيعي لمنهاج السلف الأول. قال تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» (التوبة: ١٠٠).

وبهذا لا يخرج تعريف أهل السُنّة والجماعة عن تعريف السلف، وقد عرفنا أنّ السلف هم العاملون بالكتاب المتمسكون بالسنّة: إذن فالسلف هم أهل السنة الذين عناهم النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأهل السنة هم السلف الصالح ومن سار على نهجهم.

وهذا هو المعنى الأخص لأهل السنة والجماعة: فيخرج من هذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء، كالخوارج، والجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة.. وغيرهم من أهل البدع ممن سلكوا مسلكهم.

فالسنّة هنا تقابل البدعة، والجماعة تقابل الفرقة، وهو المقصود في الأحاديث التي وردت في لزوم الجماعة والنهي عن التفرق.

السلف هم الجماعة وإن كانوا قلة

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله كما ورد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء». رواه مسلم (٢٣٢).

أهل السنة في آخر الزمان ليسوا أكثرية، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم طائفة، وأنهم الغرباء، وأنهم عصابة، وأنهم فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، وهذا يسقط دعوى بعض الأشاعرة والماتريدية المعاصرين، بأنهم أهل السنة، لأنهم الأكثرون في بلاد المسلمين، فالأكثرية ليست دليلاً كافيًا على الصواب، إنما العبرة باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع هدي الصحابة والتابعين وأئمة الهدى الأعلام في العصور الثلاثة الفاضلة، والذين اتبعوهم واقتفوا آثارهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى يوم الدين مهما قلّوا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأكثرية من المسلمين اليوم هم من العامة الذين يغلب عليهم الجهل، وعدم الإلمام بتفصيلات العقائد، وهؤلاء جمهورهم على الفطرة، والأصل فيهم البراءة وسلامة الاعتقاد، ومن كان هذا وصفه فهو داخل في سواد المسلمين أهل السنة، ما لم تجتلهم شياطين البدع والخرافات، وشياطين الفرق والطرق والأهواء ودعاة الضلالة. (انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها: ٤٧).

قال الأوزاعي في قوله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»: أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى

Upload by : altawhedmag.com

ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد.
ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة، فكان الحسن- رحمه الله- يقول لأصحابه: يا أهل السنة! ترفقوا- رحمكم الله- فإنكم من أقل الناس.
وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها.
وروي عنه أنه قال: أصبح من إذا عرف السنة فعرفها غريبًا وأغرب منه من يعرفها.
وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء.
ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات. (كشف الكربة في وصف أهل الغربة ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب: ٣١٩).
قال ابن القيم: واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض. قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذًا باليمين، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها: فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة. قال: قلت: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدثون. قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة. قال: يا عمرو بن ميمون: قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، كان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.
وقال نُعيم بن حمّاد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكرهما البيهقي وغيره.
وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه. فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم معيارًا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكرًا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: مَنْ شَذَّ شَذَّ الله به في النار. وما عرف المختلفون أنّ الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدًا منهم فهم الشاذون. وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم تحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك: فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (الأحزاب: ٢٣). إعلام الموقعين (٣٨٨/٥).
واليوم أصبح معيار الحق في كثرة الأتباع، وكلما زاد رصيده على القناة زاده اندفاعًا، ولهواه انصياعًا، والمسكين لا يدري أنه في انخداع وليس على منهج ثابت؛ فالزبد مآله الزوال والسقوط في القاع، وسيبقى ذكر القائمين على دين الله بحق وإن تنكب عنه الناس وحاربه كل أهل الأرض والشياطين وكل خناس «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» (الرعد ١٧).
فاللهم ثبتنا على دينك وانصر عبادك الموحدين.

Upload by : altawhedmag.com

الملحدون في الحِلّ والحَرَم

الحمد لله الذي جعل البيت آمنًا، والحرم عامرًا، والملحد لا بقاء له فيه ساكنًا أو ظاعنًا. وصلى الله وسلم على إمام الموحدين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الملحدين هم شر الخليقة وحثالة الفكر والطريقة، أقبح الناس عقلاً، وأسوأ الناس أدبًا وأشدهم قبحًا، وان زعموا أنهم مجددون، وللفكر والأصالة مطورون، وللحضارة داعمون، كلا والله ما هم إلا شواذ الفكر وداء عند الذكر، إنهم رجيع اللادينيين، مع خليط من الفلاسفة الطبيعيين، مع طفح من بقايا الشيوعيين واليهود المرتدين عن الدين، قوم قد انتكست عقولهم وانحطت أخلاقهم، فما الظن برجل لا يؤمن أن للكون إلهًا، ولا يثبت أن الإله خلق الخلق، وجعل لكل شيء نظامًا وميزانًا، هذه الانتكاسة سلم منها كفار الجاهلية فآمنوا بالخالق والتجأوا له عند المهالك، وأثبتوا وجوده ونفوذه على الخلائق.

إعداد
أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

إن الإلحاد كلمة مذمومة ونحلة مبتدعة مردودة، ليست حادثة العصر، بل وقعت في كل زمان ومصر وقد ذكرها الله في ثلاث آيات: في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» (الأعراف: ١٨٠)، وقوله سبحانه: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥)، وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا» (فصلت: ٤٠).

والمراد بالإلحاد في هذه الآيات العدول، والميل، والتكذيب، والذنب.

فالإلحاد لغة: بمعنى: مال، وعدل، ومارى، وجادل، وجار، وظلم. ولحد الرجل في الدين لحدًا، وألحد إلحادًا: طعن.

والإلحاد في المفهوم المعاصر يعني تعطيل الخالق بالإطلاق، وانكار وجوده، وعدم الاعتراف به سبحانه وتعالى، وانما العالم وما فيه قد جاء -على حسب زعمهم- بمحض الصدفة.

وحديثي خاصة عن آية الحج والتي تبيّن حرمة الإلحاد في الحرم خاصة مع أن الإلحاد على العموم محرّم لكن التحريم في الحرم أشد؛ قال ابن القيم: "ومن خواصه -أي الحرم- أنه يُعاقب فيه على الهمّ بالسيئات وان لم يفعلها، قال تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥)؛ فتأمل كيف عدى فعل الإرادة هاهنا بالباء، ولا يقال: أردت بكذا إلا لما ضمن معنى فعل "همّ" فإنه يقال: هممت بكذا، فتوعد من همّ بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم.

Upload by : altawhedmag.com

ومن هذا تضاعف مقادير السيئات فيه لا كمياتها، فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن سيئة كبيرة جزاؤها مثلها، وصغيرة جزاؤها مثلها، فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه أكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه، فهذا فصل النزاع في تضعيف السيئات" (زاد المعاد: ١/ ٥١).

فلا بد للأمة كلها أن تعرف قدر الحرم وبيان قبح الجُرم، فليس المكان كأيّ مكان، ولا البلد كسائر البلدان، فكل من ظلم وبدّل ورد الناس إلى دين الوثنية ولم يعرف للبيت حرمته ولا للمكان قداسته فقد استحق الوعيد والطرد من جنته.

قَالَتْ سُبَيْعَةُ بِنْتُ الْأَحَبِّ - تَذَكَّرُ ابْنَهَا خَالِدَ ابْنَ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ كَعْبٍ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْبَغْيِ بِمَكَّةَ، وَتَذَكَّرُ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ تُبَّعٍ فِيهَا:

أَبُنَيَّ لَا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بُنَيَّ وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورْ

أَبُنَيَّ مَنْ يَظْلِمْ بِمَكَّةَ يَلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورْ

أَبُنَيَّ يُضْرَبْ وَجْهُهُ وَيَلُحْ بِخَدَّيْهِ السَّعِيرْ

أَبُنَيَّ قَدْ جَرَّبْتُهَا فَوَجَدْتُ ظَالِمَهَا يَبُورْ

اللَّهُ أَمَّنَهَا وَمَا بُنِيَتْ بِعَرْصَتِهَا قُصُورْ

وَاللَّهُ أَمَّنَ طَيْرَهَا وَالْعُضْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرْ

وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَّعٌ فَكَسَا بُنَيَّتَهَا الْحَبِيرْ

وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ فِيهَا فَأَوْفَى بِالنُّذُورْ

يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِيًا بِضَنَائِهَا أَلْفًا بَعِيرْ

وَيَظَلُّ يُطْعِمُ أَهْلَهَا لَحْمَ الْمَهَارَى وَالْجُزُورْ

يَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ الْمُصَفَّى وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرْ

وَالْفِيلُ أَهْلَكَ جَيْشَهُ يَرْمُونَ فِيهَا بِالصُّخُورْ

وَالْمَلْكُ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَفِي الْأَعَاجِمِ وَالْخَزِيرْ

فَاسْمَعْ إِذَا حُدِّثْتَ وَافْهَمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورْ

(البداية والنهاية: ٣/ ١٢٦).

قال الماوردي: وفي الإلحاد بالظلم أربعة تأويلات:

أحدها: أنه الشرك بالله بأن يُعبد فيه غير الله، وهذا قول مجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه استحلال الحرام فيه، وهذا قول ابن مسعود.

والثالث: استحلال الحرام متعمدًا، وهذا قول ابن عباس.

والرابع: أنه احتكار الطعام بمكة، وهذا قول حسان بن ثابت. (تفسير الماوردي ٤/ ٦٣).

وقال القرطبي: وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر. (تفسير الماوردي ٤/ ٦٣).

وقال ابن كثير: وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد، ولكن هو أعمُّ من ذلك، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما همَّ أصحاب الفيل على تخريب البيت، أرسل الله عليهم «**طَيْرًا أَبَابِيلَ**» (الفيل: ٣)؛ أي: دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالاً لكل من أراده بسوء.

ولذا كان الملحد في الحرم من أبغض الناس إلى الله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة... وذكر منهم: مُلحدٌ في الحرم" (البخاري ٢٥٢٣).

إذ كيف يُحرِّم الله تعالى مكانًا، ويجعله حرمه، ثم يأتي آتٍ ليلحد فيه، فالحكمة هنا هي تعظيم البيت والمكان.

ولهذا كان الصحابة يتورعون عن بعض الأعمال المباحة في الحرم ويخشون منها خشية دخولهم في وعيد الآية، روى الأزرقي في (أخبار مكة) (٢/ ١٣١) بسنده عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: «**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**» (الحج: ٢٥). قال: كان لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فسطاطان، أحدهما: في الحل، والآخر: في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب

Upload by : altawhedmag.com

أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يُصلي صلّى في الحرم. فقيل له في ذلك، فقال: إنا كنا نتحدّث أنّ من الإلحاد في الحرم أن يقول: كلا والله، وبلى والله.

ألا فليتق الله كل امرئ وليجتنب أي عمل يوقعه في قليل أو كبير من الإلحاد في بيت الله.

الإلحاد في الحل:

إن خرجنا من محيط حرم الله انطلقنا في المجال والواسع في الأرض لنرى صنوفًا من الإلحاد الذي عم بصائر شواذ الفكر. فالإيمان بوجود الله هو أول مدارج الدين؛ لأنه مقتضى الفطرة، وثمرة الاستدلال العقلي السليم. أما الإلحاد فمرض طارئ على الإنسانية، بدأ كما تبدأ الأمراض كلها صغيرًا محصورًا، ثم انتشر في أجزاء الجسد الإنساني جميعها، وهذا النوع من الأمراض كان نادر الوجود؛ إذ لم يُعرَف على مر العصور من أنكر وجود الله، والمنكرون له سبحانه وتعالى أشد الناس كفرًا.

قال شيخ الإسلام: مَن أنكر المعاد مع قوله بحدوث هذا العالم فقد كفَّره الله، فمن أنكره مع قوله بقدم العالم فهو أعظم كفرًا عند الله تعالى. (مجموع الفتاوى: ١٧/ ٢٩١).

وقال في رده على منكري الصفات: وإما أن يلتزم التعطيل المحض فيقول: "ما ثم وجود واجب؛ فإن قال بالأول وقال: لا أثبت واحدًا من النقيضين لا الوجود ولا العدم".

قيل: هب أنك تتكلم بذلك بلسانك، ولا تعتقد بقلبك واحدًا من الأمرين، بل تلتزم الإعراض عن معرفة الله وعبادته وذكره، فلا تذكره قط، ولا تعبده، ولا تدعوه، ولا ترجوه، ولا تخافه، فيكون جحدك له أعظم من جحد إبليس الذي اعترف به. (مجموع الفتاوى: ٥/ ٣٥٦).

اليهود ومن والاهم هم دعاة الإلحاد في الأرض:

يسعى اليهود لنشر الإلحاد في العالم؛ حتى تسهل السيطرة عليه وإخضاعه لما يريدون.

جاء في البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون: "من المحتم علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغوييم (يعني الأميين) المبدأ القائل بأن هناك إلهًا ربًا، وروحًا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية".

فالذين يخرجون علينا كل يوم وهم يدّعون التجديد وإحياء الدين بالطعن في ثوابت الملة وفهم علماء الأمة والخروج عن منهج الأئمة ما هم إلا خدام لليهود، ونعال لأصحاب النفوذ من أهل الفساد والشرور، يثيرون علينا الزوابع وهم أهل الخنوع وستحل بهم القوارع وما لهم من دافع.

لقد تصدى الأنبياء عليهم السلام لهذه المعركة بكل قوة وحزم، ورسموا لأتباعهم ضد أتباع الباطل الطريق والمنهج الموصل للصلاح والنصرة على هؤلاء.

واليوم، نشهد فصولًا جديدةً من هذه المعركة الخالدة؛ معركة الإيمان والإلحاد! وهي معركة قديمة قدم الأزل، ولكن حجم الكيد والمكر وعنف الشدة والضغط الذي يمارسه أتباعُ الباطل بسبب الإمكانيات الهائلة التي يتمتعون بها من دعم مالي وقنوات داعمة ودول مساعدة وغير ذلك من وسائل الدعم كبير لكنه إلى زوال قريب.

ونحن لا تهولنا هذه المعركة رغم شراستها وضغطها وامتدادها، كما لا يهولنا حجم المكر الذي يمارسه المفسدون في الأرض.

ولكننا نؤمن إيمانًا جازمًا بأننا لن نخسر المعركة؛ لأننا نستند إلى الحق الأصيل والوعد الإلهي القويم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٩).

فاللهم عليك بالملحدين، وردّ كيدهم يا قوي يا عظيم.

Upload by : altawhedmag.com

التفاوت بين أجيال المساجد وأجيال الهواتف

إعداد
أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمن يراقب حالة العلم وطلبته في أزماننا يرى بونا كبيرًا بين طلبة اليوم وطلبة الأمس: فطلبة اليوم جلّهم قد اعتمد في دراسته على الهواتف النقالة فصار الهاتف نديمه وجليسه بل وأستاذه ورفيقه في دربه وقرينه، وإن كان للهواتف فوائد فقد اشتملت على كثير من النقائص، فالتعلم من خلال الهاتف بالسماع والقراءة، وإن اشتمل على خير ففيه شر ونقص ومفاسد.

وإن قصْر التعلم على الهاتف وهجر حلقات المساجد قد تضمن عدة مفاسد منها:

اختلاط المفاهيم والمناهج، والبُعد عن أوساط أهل الإيمان والبصائر، وحرمان الأجر بالمشي للمساجد والغدو لها والجلوس في حلقات الذكر وما فيها من الفضائل، وصحبة أقوام ينتقون أطايب الكلم فلا لغو ولا طعن في الأنساب والحكم على الضمائر.

وفي الهواتف الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والجميل والقبيح، وقلة التحرير وفقد الضبط والتنقيح، بل كل شيء وضده، وإن تطرق للشبكة المفتوحة واستقى منها المعلومة، وجد الغث والسمين وما يشتت الذهن ويندي الجبين، فالباب قد فُتح والعلم أصبح في أيدي كل مطرح، كلا والله فالعلم عزيز ولا يستحقه إلا من تأهل له وعلم قدره ونزّه نفسه عن المفاسد والشرور، وقد أثر عن الشافعي رضي الله عنه كما روى الربيع بن سليمان قال: لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه الناس فلم يجلس إليه أحد، فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئًا يجتمع إليك به الناس، فقال إليك عني وأنشد يقول:

أأنثر دُرًا بين سارحة النعم
أأنظم منثورًا لراعية الغنم
لعمري لئن ضُيعت في شر بلدة
فلست مضيعًا بينهم غُرر الكلم
فإن فرج الله اللطيف بلطفه
وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيدًا واستفدت ودادهم
وإلا فمخزون لدي ومكتتم
ومن منح الجهال علمًا أضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فكم من الأوقات ضُيعت على الهواتف ومواقع التواصل! وكم من موبقات اقترفت بكثرة المخالطة التي تضر ولا تنفع! وكم من بواطيل نُشرت على

Upload by: altawhedmag.com

الصفحات وتراكمت بها السيئات! وكم من الآداب فقدناها لهجر المساجد وتعطل دورها العظيم في بناء الأجيال التي تحمل العلم وتتحمل المخاطر! إن المساجد لم تبن لإقامة الصلاة فحسب، بل كانت متعددة الأنشطة... فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، ومنطلق الدعوة والبعوث، ويبرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب.

وأول عمل ذي بال بدأه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرًا أن شرع في بناء المسجد. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فدخله وصلى فيه ركعات. ومع تدرج الزمن وتغير أساليب الحياة ودخول التكنولوجيا الحديثة والهواتف الذكية فقد انصرف الكثير من أبنائنا عن المساجد وإن دخلوها فللصلاة فقط والصلاة عماد الدين ولكن المساجد دورها يمتد إلى أبعد من ذلك بيقين.

ومع ذلك لا يزال المسجد مهيأ للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة، وغير ذلك مما كان على عهد النبوة.

فالمسجد ركن ركين للعلم ومعين قوي لا ينضب، ومرتاد لكل رائد للعلم أريب، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم، ويشبع رغباتهم، ويعطيهم قوة علمية وشحنة إيمانية تدفع عنهم الشكوك والأوهام، وتحميهم من سموم الأعداء ونفثاتهم المحمومة المسعورة التي يحاولون بها الدس والتضليل.

وفي المسجد غذاؤك الروحي وزادك الإيماني، تتروى بين أروقته علمًا زلالًا، وتكتسب منه خلقًا حميدًا وسمات فريدة، وتجالس فيه أصفياء أوفياء خيرين، وأصدقاء أحماء طاهرين، تستفيد منهم سلوكًا حسنًا، ونهجًا مشرفًا.

ولهذا فإن التربية في المساجد تؤدي من المنافع ما لا تفعله الهواتف، وهذه بعض الفروق الظاهرة التي تفرق بين التربية في المساجد والتربية على الهواتف.

إنها مجالس الأنبياء والصديقين

قال علي بن أبي طالب: «المساجد مجالس الأنبياء وحرز من الشيطان» الجامع للخطيب (١١٨١). وقال أبو إدريس الخولاني: «المساجد مجالس الكرام» الجامع للخطيب (١١٨٢).

إحياء السنة:

في حضور مجالس العلم إظهار للشعيرة والملة واغاظة لأهل كل نحلة أرضية: قال عكرمة بن عمار: "سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول: أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت" الجامع للخطيب (١١٨٣).

تحصيل الأدب والخشوع:

مجالس العلم هي مجالس السكينة والأدب والتحصيل الخلق الحسن: فعن حسين المعلم، قال: «كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء الحديث خشع» الجامع للخطيب(٩٨٥). وعن الحسن، قال: «كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده» الجامع للخطيب (١٧٥).

وروى الخطيب بسنده قال: سمعت أبا عمرو ابن حمدان، يقول: سمعت أبي يقول: "كنت في مجلس أبي عبد الله المروزي، فحضرت صلاة الظهر، فأذن أبو عبد الله فخرجت من المسجد، فقال: يا أبا جعفر، إلى أين؟ قلت: أتطهر للصلاة، قال: كان ظني بك غير هذا، يدخل عليك وقت الصلاة وأنت على غير طهارة".

وروى بسنده أيضا عن أبي جعفر بن حمدان يقول: كان والدي أبو جعفر يصلي صلاة المغرب مع أبي عثمان يعني سعيد بن إسماعيل، وربما أقام في بعض الليالي حتى يصلي معه صلاة العشاء الآخرة، فإذا أبطأ علينا خرجت إلى مسجد أبي عثمان فخرجت ليلة من الليالي إلى مسجد أبي عثمان، فخرج علينا لصلاة العشاء الآخرة وعليه إزار ورداء، فصلى بنا ثم دخل داره، ورجعت مع أبي إلى البيت، فقلت لأبي: يا أبي، أبو عثمان قد أحرم؟ فقال: لا، ولكنه هو ذا يسمع مني المسند الصحيح الذي خرجته على كتاب مسلم، فإذا سمع بسنة لم يكن استعملها فيما مضى أحب أن يستعملها في يومه وليلته، وإنه سمع في جملة ما قرئ علي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في إزار ورداء فأحب أن يستعمل تلك السنة قبل أن

Upload by: altawhedmag.com

يُصبح.

ونقل بسنده عن أبي عبد الله يحيى بن عبد الملك الموصلي، قال: «رأيت مالك بن أنس غير مرة، وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له، وإذا رفع أحد صوته صاحوا به، وكان إلى الأدمة ما هو».

بيان قدر العلماء

على الهواتف فقد الناس معرفة منازل العلماء وظنوا لأنهم أتيح لهم التعليق والتعقيب على أقوال العلماء أنهم تساووا معهم في الرتبة بل ونازعوهم في المنزلة فلم يقدروا حق الكبير ولا السبق بالعلم والفضل: فعن أبي سعيد الخدري، قال: «كنا جلوسا في المسجد، إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلينا، فكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا» الجامع للخطيب (٣٢١).

وهي إشارة إلى السكينة والخشوع في مجالس العلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: "مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا هيبته حتى تخلف في حجة أو عمرة في الأراك الذي ببطن مر الظهران لحاجته، فلما جاء وخلوت به قلت: يا أمير المؤمنين، أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما منعني إلا هيبة لك قال: فلا تفعل إذا أردت أن تسأل فسلني فإن كان عندي منه أخبرتك وإلا قلت: لا أعلم، فسألت من يعلم، قلت: من المرأتان اللتان ذكرهما الله تعالى أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: عائشة وحفصة ثم قال: كان لي أخ من الأنصار وكنا نتعاقب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل يوما وينزل يوما فما أتى من حديث أو خبر أتاني به وأنا مثل ذلك ونزل ذات يوم وتخلفت: فجاءني وساق الحديث بطوله...

قال إسحاق الشهيدي، قال: «كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم: يسألونه عن الحديث، وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحد منهم اجلس، ولا يجلسون هيبة واعظاما» الجامع للخطيب (٢٩٩).

قال أحمد بن سنان القطان: «كان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه، ولا يبرى فيه قلم، ولا يبتسم أحد، فإن تحدث أو برى قلما، صاح وليس نعليه ودخل، وكذا يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس في هذا، وكان وكيع أيضا في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أمرهم شيئا انتعل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى من يبري قلما، تغير وجهه» الجامع للخطيب (٣٢٤).

الأدب في تعلم العلم

مجالس العلم نتعلم فيها الأدب والسمت الحسن فالمخالطة لأهل العلم تورث الخشية والسكينة قال ابن الجوزي: وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سببا لرقة قلبك، صيد الخاطر (٢٢٩).

وروى الخلال في أخلاق الإمام أحمد، عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سمته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه.

وعن الأعمش قال: كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه.

وقيل لابن المبارك أين تريد؟ قال: إلى البصرة، فقيل له: من بقي؟ فقال: ابن عون آخذ من أخلاقه آخذ من آدابه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودله، وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئا إلا ينظروا إلى هديه وسمته. الآداب الشرعية (١٤٩/٢).

قال ابن وهب: «ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه»، وذكر محمد بن الحسن الشيباني، عن أبي حنيفة قال: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه: لأنها آداب القوم وأخلاقهم» انظر جامع بيان العلم وفضله (٨١٩).

فاللهم ارزقنا الأدب والحكمة والخشية والسكينة. وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

سحرة البيان وسحرة الثعبان

إعداد
د. أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عُمر، رضي الله عنهما: أنَّه قدم رجُلان من المشرق فخطبا، فعجب النَّاسُ لبيانهما، فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ من البيان لسحرًا. (صحيح البخاري ٥٧٦٧).

والبيان بحق محمود، قالوا: تكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز -وكان في قضائها مشقة- بكلام رقيق مُوجز، وتأنَّى لها وتلطَّف، فقال عمر بن عبد العزيز: "هذا السحر الحلال". وكان زيد بن إياس يقول للشعبي: "يا مبطل الحاجات"؛ يعني: أنه يشغل جلساءه بحسن حديثه عن حاجتهم. (التوضيح لابن الملقن: ٢٧/ ٥٥١).

وأما إن استُعمل البيان بباطل وقلب الحقائق فهو شبيه السحر، وهذا مذموم.

وقد ابتُلينا في زماننا بأناس قد استطاعوا استمالة الناس وتزييف الحقائق وقلب الموازين، حتى حوَّلوا الباطل إلى معروف، والمنكَر إلى مألوف، بحُسن بيانهم وجميل أجسادهم وفتنة الناس بهم.

فكل من استمالك فقد سحرك؛ كما يفعل السحر بالمسحور.

وفي قصص القرآن الكريم حديث عن قصة موسى مع فرعون، وهي من أكثر قصص القرآن ذكرًا وتفصيلاً وتكرارًا في كتاب الله تعالى، وفي هذه القصة إشارة إلى فريق كان طرفًا في الصراع تجاه موسى وهم سحرة فرعون.

وكان همَ فرعون بقاء مُلكه، وقد أخبر أن هلاكه على يد غلام من بني إسرائيل، فجعل يقتل الغلمان كلهم ليبقى مُلكه، ويأبى الله

Upload by : altawhedmag.com

إلا أن يكون هلاك فرعون على يد غلام يخرج من بيته؛ فقد حكم العظيم -سبحانه وتعالى-، الذي لا يُغالَب، ولا يُمانَع، ولا تُخالَف أقداره، أن هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلتَ بسببه من النفوس ما لا يُعدّ ولا يُحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك، وعلى فراشك، ولا يُغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبنّاه، وتربيه، وتتفداه، ولا تتطلع على سر معناه... ثم يكون هلاكك على يديه!!

فأتاه الله من حيث لا يحتسب، وأزال سلطانه من مأمن كان منه لا يكترث.

وقد وضع فرعون خطة خبيثة، تُمكّنه من استمرار التحكم، والاستعلاء، والطغيان، تقوم هذه الخطة على اتخاذ مجموعة من المثقفين والعلماء في السحر، وهو العلم الذي برعوا فيه، وهؤلاء يُشكّلون عقول الناس وثقافتهم، ويُوجّهون المجتمع إلى ما فيه غايتهم ومصالحهم.

وخلفهم جند أقوياء يحمون هذا التوجُّه الفكري والعقدي، وكان لجنود فرعون قوة ظاهرة في عددهم: «هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ» (البروج: ١٧- ١٨)؛ فقد سمى الله حديث فرعون حديث الجنود؛ لما تمتعوا به من قوة وبطش.

وقد تمكّن فرعون بهذا التخطيط من الاستخفاف بعقول الناس وكأنه لا يراهم ولا يعبأ بهم، بل ولا يعتقد أنهم يفهمون شيئًا كأنهم دواب في الأرض لا رأي لهم ولا عقل: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ» (غافر: ٣٦- ٣٧)، وهو يعلم أن هذا البناء سراب وغباء لكنه نوع من الاستخفاف والكبرياء.

ولما تواجه السحرة مع موسى كان أول ما طلبوه من فرعون: «أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ» (الشعراء: ٤١). لم يسألوا: هذه القضية حق أم باطل، صدق أم كذب، ظلم أم عدل؟!

وأجابهم فرعون بنفس المنطق المادي الدنيوي الذي ليس له من الإيمان حظ ولا نصيب: «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ» (الأعراف: ١١٤)؛ أي: سيكون لكم أجر مادي، وستكونون من المقربين.

فاجتمع خلق كثير من السحرة على الملأ أمام موسى وحده، فالباطل قد كثر داعموه، والحق كثر مانعوه، ولكن الحق أبلج والباطل لجلج.

فوعظهم موسى، لكنهم لا يسمعون؛ إذ المغريات والجاه والدنيا كلها قد زُيِّنت لهم وأتتهم تحت أقدامهم: «قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ» (طه: ٦١ - ٦٤).

فهؤلاء قد عاشوا حياتهم يتعلمون فنون الإغواء والسحر والتلاعب بعقول الناس وأفئدتهم، وقد ميَّزهم فرعون بكل أنواع الجاه والعطاء، فهي مناظرة لها ما بعدها من العطاءات ورغد العيش والقرب من العرش.

Upload by : altawhedmag.com

لكن كل ذلك تبخَّر في دقائق معدودات، لما رأوا الآيات البينات وصدق دلائل النبوة وما فيها من الآيات: « فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ » (طه: ٧٠-٧٦).

قَالَ الْحَسَنُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ! الْقَوْمُ كُفَّارٌ، وَهُمْ أَشَدُّ الْكَافِرِينَ كُفْرًا، ثَبَتَ فِي قُلُوبِهِم الْإِيمَانُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَلَمْ يَتَعَاظَمْ عِنْدَهُمْ أَنْ قَالُوا: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمُ الْيَوْمَ لَيَصْحَبُ الْقُرْآنَ سِتِّينَ عَامًا، ثُمَّ إِنَّهُ يَبِيعُ دِينَهُ بِثَمَنٍ حَقِيرٍ".

نعم والله؛ إنه صعلوك من يبيع دينه بثمن بخس، نُقل عن مالك أنه قال: قال لي ربيعة الرأي يا مالك مَن السفلة؟ قال: قلتُ مَن أكل بدينه. فقال لي: ومن أسفل السفلة؟ قلت: مَن أصلح دنيا غيره بفساد دينه. (الآداب الشرعية: ١/٣٢٩).

فانظر إلى هذه القوة الإيمانية أمام فرعون أطغى الطغاة أن قالوا له: « فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ »؛ وفي سورة الشعراء « قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الشعراء: ٥٠- ٥١)؛ أي: حُكمك علينا لا يتعدى حكم الدنيا، أما الآخرة فلا تملكها.

قال ابن عباس: "كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء. وكان من دعائهم: "رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مُسلمين".

أيُّ إيمان حل في قلوبهم؟! وأي سكينة نزلت عليهم؟! ما الذي غيَّرهم؟! ما الذي بدَّلهم؟! ما الذي هزَّ كيانهم؟! إنه إيمان تغلغل في أحشائهم.

ما أهون الحياة الدنيا حين تكون ثمنًا للإيمان بالله عز وجل!!

كانوا في أول النهار يقولون: « أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ » (الشعراء: ٤١)، ويقولون: وعزة فرعون أننا سنغلب، وفي آخر النهار سجدوا لرب هارون وموسى فـ « قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ » (طه: ٧٠).

في أيامنا الحاضرة طغيان في الأرض شديد يسوم المسلمين سوء العذاب، ولربما يزيد هذا التسلط، فيخيف ضعاف الإيمان فيرجعون من منتصف الطريق، ويكونون من الذين قال الله عز وجل فيهم: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ » (الحج: ١١)، أو من الذين قال الله تعالى فيهم: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ » (العنكبوت: ١٠).

والإيمان بالله تحرُّر من العبودية للهوى.. ومن العبودية للعبيد.. ومن عبودية المال والجاه والسلطان.

وطالما كان الحق في الأرض فلا بد له من أعداء يتربصون به، ولن يَخْلُ زمن إلى قيام الساعة من هذه الفتنة؛ للتمحيص والابتلاء ورفع الدرجات.

فاللهم ثبِّتنا على الحق حتى نلقاك.

Upload by : altawhedmag.com

حضارة أهل الطغيان في بيان هدهد سليمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن نظرة الإكبار والإعجاب بحضارة الغرب قد بلغت شأوًا كبيرًا، واحتلت حيزًا من القلوب عميقًا، وفتنت خلقًا كثيرًا، بما رأوا من صناعة متقدمة، وأبنية متطورة، ومراكب فارهة، وهذا التطور لا شك أنه أمر محمود وسبيل للنهوض له مردود، والله تعالى قد فتح باب العلو في الدنيا لمن أخذ بأسباب النهوض: «مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ» (هود: ١٥).

ولكن لا يليق بمسلم أن تطغى عنده الرؤية المادية على رؤية الحقيقة العقدية، فننسى ما هم عليه من الكفر لافتتاننا بحضارة زائلة وزينة زائفة، فالمسلم عالٍ بإيمانه حتى لو كان أقل الناس منزلاً أو مركبًا أو بنيانًا، فهو في علوّ بعقيدته وإيمانه بالله، فيرى نفسه في منزلة رفيعة، ويرى الكفر في دركة وضيعة، وأن أهله في سفول وحياة قبيحة، فلا تغرّه مظاهر الطغيان، ولا تصدّه نوائب الدهر والزمان، فيُبصر الأمور بحقيقتها، وتطغى عنده مشاهد الكفر على كلّ متاع الدنيا وبهجتها.

فالحال عنده كحال هدهد سليمان رأى مشهدًا قبيحًا أفسد عليه رؤية البنيان وزينة العرش والمكان، وها هو الهدهد يحكي ما جرى معه لسليمان كما جاء في القرآن العظيم.

إعداد: د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

قال الله تعالى: «وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ» (النمل: ٢٠- ٢٦).

Upload by : altawhedmag.com

قال المفسرون: العرش السرير الضخم كان مضروبًا من الذهب مكللاً بالدر.

«وأوتيت من كل شيء» يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك.

إن كلام هدهد سليمان قد فاق الوصف، فهذا حيوان فُطر على التسبيح والعبادة لما رأى ملك بلقيس وما فيه من الأعاجيب لم تفتنه هذه الحضارة ولم تؤثر فيه صورة العرش بعظمته؛ إذ كل ذلك تلاشى مع رؤية منظر الكفر الصريح وهم يسجدون للشمس.

قارن بين رؤية الهدهد ورؤية المفتونين اليوم بحضارة الغرب، لما رأوا ما وصلوا إليه من حضارة أعمتهم المدنية عن رؤية الكفر الذي هم عليه؛ فذابوا في المجتمعات الكافرة، ولم يروا قباحة الكفر، وأنه لا تنفع معه حضارة ولا بنيان ولا صناعة.

إن الشريعة ترسخ فينا مبدأ مهمًا لنرى الأمور على حقيقتها، فقبح الشرك أعظم من كل الحضارة التي نشاهدها

ولهذا ترى في القرآن الكريم آيات واضحات تنهانا عن الافتتان بالكفر؛ إذ كانوا أكثر منا أولادًا أو أعظم منا بنيانًا؛ قال تعالى: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون» (التوبة: ٥٥).

والمعنى في الآية جاء في آية أخرى: «أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

وقد نهانا الله عن الاغترار بالنعيم الذي هم فيه؛ فقال تعالى: «لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار» (آل عمران: ١٩٦- ١٩٨)؛ أي: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه، من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجًا، وجميع ما هم فيه «متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد».

فالله -سبحانه وتعالى- ميز الإنسان عن الحيوان بنعمة الهداية، فإذا لم يأخذ بها وقد توفرت أسباب الهداية وقامت الحجة عليه؛ فهو شر من الأنعام، قال الله تعالى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» (الأعراف: ١٧٩)؛ هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يُبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا، وربما كانت طباع الحيوانات خيرًا من طباع هؤلاء وأسلم وأقبل للخير، ولهذا جعلهم الله سبحانه شر الدواب؛ فقال تعالى: «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون» (الأنفال: ٢٢- ٢٣).

والإنسان إنما يُميز على غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه وأقوى بطشًا، وأكثر جمعًا وأولادًا، وأطول أعمارًا، وإنما مُيز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرًا منهم.

Upload by : altawhedmag.com

قال عطاء بن أبي رباح -رحمه الله-: "الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه". ولهذا جعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام؛ لأنها تتبع قائدها وتهتدي الطريق، وأما الكفار فدعاهم الرسل للطريق والهداية فلم يتبعوهم، بل لم يفرقوا بين ما يضرها من النبات أو الطريق وبين ما ينفعها منه، فتجتنب الأول وتؤثر الثاني، والله تعالى لم يُعط البهائم قلوبًا تفقه بها، ولا ألسنةً تنطق بها وأعطى ذلك للكفار ثم لم ينتفعوا به فصاروا أضل من البهائم؛ لأنهم لم يهتدوا مع وجود الأدلة.

إن غياب هذه الرؤية التي نقلها لنا هدهد سليمان عن كثير من أبناء المسلمين قد أضر بهم كثيرًا، فلذا تميعت مظاهر الولاء للمسلم ومظاهر البراء من الكافر، لأنهم لا يرون الكافر بميزان العقيدة، وإنما بمظاهر الدنيا؛ فقلدوهم وأحبوهم وتشبهوا بهم.

إن البلية كل البلية أن تنقض عرى الإسلام، وإنما نقضها يكون بأناس نشأوا في الإسلام ولم يعرفوا الجاهلية فاختلط عندهم أمر الحق بالباطل، كما قال عمر-رضي الله عنه-: "إنما تنقض عرى الإسلام عُروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية".

وهذا من كمال علم عمر-رضي الله عنه-؛ فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول فإنه من الجاهلية، وهي منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين.

من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما.

مع أن السبيل واضح جلي في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

والله تعالى قد بيّن في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وأوضح -سبحانه- الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام.

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى المهلكة. (الفوائد لابن القيم).

فما أحوجنا لنتدبر كلام الهدهد وما فيه من البصائر، وأن نتيقن بأننا وإن ضعفنا واستُبيحت مقدساتنا؛ فلا سبيل إلا بتنقية العقول والقلوب مما يُفسد الضمائر، ويحيى فينا عقيدة الأوائل، حتى وإن أظلمت الدنيا واشتدت الرذائل، فربّ الكون قادر على تغيير ما نحن فيه من محن وقلاقل، والله وحده هو من ينصر عباده الموحدين، وهو القوي ذو القوة المتين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

المهدي والصراع العسكري

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع إبليس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد:

الأمم الثلاث المنتمية لدين سماوي تنتظر مهديًا يخرج في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلا بعد أن فشا فيها الظلم واستحكم الطغيان.

لكن لكل ملة إمام يختلف عن سائر أئمة الزمان، فعند اليهود فهو من نسل داود والد سليمان، وعند النصارى سيعود عيسى ويرفع الصليب فوق البنيان، وفرقة تنتمي للإسلام تدعى الروافض لهم مهدي يزعمون أنه في القبو وسيخرج في آخر الزمان، وأهل السنة يعتقدون في إمام يقيم العدل ويصلي إماما للناس وخلفه عيسى وجند الرحمن.

وعلى هذا المعتقد أقامت كل ملة مستقبلا زاهرًا واعدًا يعيد لها مجدها المسلوب، ومجدها المرموق، وعزها المنشود، بل نشبت صراعات على وجه الأرض وقتل فيها الجنود.

فأما اليهودية:

فإنهم ينتظرون قائمًا من ولد داود النبي، إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به. وتري اليهودية المسيح "الماشيح" باعتباره شخصية سياسية قومية سيقود شعبه إلى صهيون ويعيد بناء الهيكل ويؤسس المملكة اليهودية مرة أخرى ... وقد تبدي كل هذا في شكل صراع تاريخي حقيقي. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٠٤) مادة الماشيح للدكتور عبد الوهاب المسيري.

وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فهو إمامهم وقائدهم ومن كان الدجال إمامه فهو في ضلال.

والحق أن اليهود سيخرج فيهم المسيح، لكنه

Upload by : altawhedmag.com

الدجال فهو ما يليق بهم ويتناسب مع أخلاقهم، قال صلى الله عليه وسلم: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة» صحيح مسلم (٢٩٤٤)

وأما النصارى:

فيعتقدون أن المسيح عليه السلام قد صلبه اليهود، ومات على الصليب، ثم أنزل من الصليب، وبعد دفنه فيما يقولون بثلاثة أيام قام من قبره، ثم ظهر للتلاميذ، وزعموا أنه بقي معهم أربعين يومًا، ثم ارتفع إلى السماء، وهم ينظرون، وينتظرون عودته ونزوله مرة أخرى. ففي سفر أعمال الرسل" ١/ ١١: "أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء".

والنصارى تنتظر المسيح يأتي يوم القيامة، فيقيم دين النصرانية، ويبطل سائر الأديان، وفي عقيدتهم نزع المسيح الذي هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه، فيعتقدون إلهيته وقت الصعود ووقت النزول

وقد اختلفوا في وقت نزول المسيح إلى قولين: فمنهم من كان يرى أن نزوله سيكون قريبًا جدًا من وقت صعوده، وعلى هذا مضى متقدمو النصارى، أما المتأخرون فصاروا يرون أن نزوله سيكون آخر الزمان.

وهم منقسمون في الأحداث المرافقة لنزوله، فمنهم من يعتقد أن المسيح سيكوّن مملكةً له على الأرض تدوم ألف سنة، ومنهم من يرى أنه لن يفعل ذلك، وأن ملكه سيكون في السماء بعد القيامة ومحاسبة الناس، ويفسرون الأحداث بأنها رموز للشر.

والحق أن عيسى سينزل آخر الزمان لكنه سينزل ليمحوا آثار التثليث والفداء، وعبادة الصور والأوثان، وأكل الخنازير وعشاء خالطه رهبان يرفعون الصلبان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، ليُوشكنَّ أن ينْزِلَ فيكُمُ ابنُ مَريَمَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ حكَمًا مُقْسطًا، فيكْسرُ الصَّليبَ، ويقْتُلُ الْخنْزيرَ، ويضَعُ الْجزْيةَ، ويفيضُ الْمالُ حتَّى لا يقْبلَهُ أحدٌ» صحيح مسلم(٢٤٢)

والشيعة الاثنا عشرية:

يعتقدون أن الإمام " الحسن العسكري " وهو الإمام الحادي عشر للشيعة

، ابن الإمام علي النقي، ابن الإمام محمد التقي، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب، هؤلاء أئمتهم الذين يدعون، وهم منهم برآء ولهم مكذبون

عندما توفي الحسن العسكري عام (٢٦٠) هـ كان له ولد يسمى " محمدًا " له من العمر خمس سنوات وهو " المهدي " المنتظر، تسلم منصب الإمامة بعد والده وبنص منه وبقي مختفيًا عن الأنظار، وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض، وهم السفراء الأربعة:

١ - عثمان بن سعيد العمري.٢ - أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري. ٣ - أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي. ٤ - علي بن محمد السمري.

فهؤلاء نواب الإمام وهم من يبلغون الناس الأحكام، ويتصلون به على وجه لا يخطر على بال، وذلك قبل أن يخترع الإنسان الهواتف والاتصال عبر الهواء.

وكان أبو الحسن علي بن محمد السمري هو

Upload by : altawhedmag.com

آخر النواب، وقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى قبل ستة أيام من وفاته حيث أخرج للمؤمنين توقيعًا من الإمام المهدي جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة. الطوسي، الغيبة، ص (٢٤٢ - ٢٤٣).

ويقفون على باب السرداب يدعون بتعجيل خروج المخلص من هذا العناء، ليقيم ملة الشيعة ويحكم بكتاب جديد غاب عن العلماء والقراء.

ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي

كلمتموه بجهلكم ما أنا؟

فعلى عقولكم العفاء فإنكم

للثتم العنقاء والغيلانا

ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادته "

والشيعة يتناوبون الحراسة عليه؛ ينتظرون قدوم هذا المهدي المنتظر. ويقولون عجل الله خروجه!!!! وهيهات هيهات أن يخرج. ووالله إن هؤلاء قد أصبحوا أضحوكة الأمة وعار على البشرية وسبة على جبين العقلانية.

قال أحد علمائهم: وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد ثم تكلم على عقيدة الرجعة للأئمة بعد ظهور المهدي فقال: تعني الرجعة في المذهب الشيعي: أن أئمة الشيعة مبتدئاً بالإمام " علي " ومنتهيًا بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام " المهدي " الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم، وان كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى " الحسن العسكري "....

وقد يخيل إليّ أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا هذه الروايات لإثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم، وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى تفرقة لا لقاء بعدها، ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لم يصوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم. الشيعة والتصحيح (١٤٢)

وأما المهدي في عقيدة أهل السنة والجماعة:

فيعتقد أهل السنة أن من أشراط الساعة خروج المهدي آخر الزمان، فيملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويفيض المال

هو رجل من أهل بيت النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- عالم رباني مجدد لهذا الدين، يخرجه الله تعالى ليعز به الإسلام والمسلمين، ينصر الله به ملة التوحيد، فتقر عيون المؤمنين وتشفى صدور الموحدين، فيخذل الكفر والضلال، وتعلوا كلمة الحق في الآفاق

يكون قائدًا للمسلمين الذين يعبثون أنفسهم لمقاتلة الدجال، حيث تكون دولته الإسلامية قائمة بقيادته، وعاصمتها دمشق وينزل

Upload by : altawhedmag.com

المسيح عيسى ابن مريم -صلى الله عليه وسلم- فيقوى دولته، ويقتل الأعور الدجال بين يديه، وتقام الصلاة في المسجد الأقصى، فيُقدَّم المهدى عيسى ابنَ مريم -صلى الله عليه وسلم- ليصلى بهم إمامًا، فيأبى ويقول (إمامكم منكم) ويصلى مأمومًا خلف المهدى.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكْرِمَة الله هذه الأمة): مسلم: (١٥٦)

وقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلًا مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظلمًا وجورًا". صحيح أبي داود، للألباني، ٣٦٠١

وقد كثرت الروايات بذكره وبيان أمره وصنف أهل العلم مصنفات تبين حاله وترد على المشككين حول ظهوره وصفاته.

قال الإمام محمد بن الحسين الآبري رحمه الله: "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يوم الأرض عدلًا، وأن عيسى صلى الله عليه وسلم يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه": (المنار المنيف، لابن القيم، ص: ١٤٢)

إن أهل السنة يعتقدون خروجه ولكن على غير ما يعتقد أهل النحل رجوعه، فهي عودة للزمن الأول وأوبة لعالم يحيى بالعدل والسلام، ولا يفكرون في الانتقام، ولا رجعة للأموات بين الركام لينتقموا ممن اعتقدوا مخالفة الأئمة وكل هذا هراء وبهتان.

ومن لوازم عقيدة أهل السنة أنهم يأخذون بالأسباب ولا يطلبون العز بالأماني بل يلجون الباب وينهضون للعمل وأخذ العدة وقد اقترن السيف مع الكتاب.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن تربط المسببات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها، وقد أودع الله سبحانه في هذا الكون قوانين وسننا تحكمه، وهذه السنن تحترم من يحترمها، ولو كان كافرا، ولا تحابي أحدا إذا أهملها، ولو كان مؤمنا.

قال الشيخ الألباني رحمه الله لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض انتظارا منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى -عليهما السلام- يأسا منهم أو توهما أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله -صلى الله عليه وسلم- لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما؛ فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧)

فاللهم إنا نسألك عزا للدين ورفعة للموحدين ووضعا لمن يعادي المؤمنين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Upload by : altawhedmag.com

الإذاعة للحروب العالمية الثلاثة

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فما زالت آثار الدمار التي اجتاحت معظم الكرة الأرضية بسبب الحربين العالميتين الأولى والثانية تدوي في آذان البشرية، وتسيطر على عقول النُخب السياسية، وتؤثر على أي قرار يمهد لحرب أخرى كارثية، فإنهم إلى اليوم لا يستطيعون حصر الخسائر ولا بيان تفاصيل المحارق؛ لأن حجم الكارثة قد فاق الوصف، ولو نظرنا لحجم القتلى في الحرب العالمية الأولى فإن العدد الكلي للإصابات والقتلى في صفوف العسكريين والمدنيين في الحرب العالمية الأولى أكثر من ٣٧ مليون نسمة.

وأما الحرب العالمية الثانية فإجمالي عدد الضحايا يتراوح ما بين ٦٢ وحتى ٧٨ مليون قتيل، مما يجعل الحرب العالمية الثانية أكثر الصراعات العسكرية دموية على مر التاريخ.

قال روبرت جيه ماكمان في كتابه الحرب الباردة: "ومثلما يستمر عدد ضحايا هذا الصراع العالمي الطاحن في الاستعصاء على أي جهود إحصائية دقيقة، فإن فداحة الخسائر البشرية التي حصدها تظل بالتأكيد مستعصية على الاستيعاب على نحوٍ صادم بعد مرور جيلين على انقضاء الحرب العالمية الثانية، تمامًا كما كانت عقب انتهاء الصراع مباشرة.

العالم يخشى من قيام حرب عالمية ثالثة؛ لأن الناس تجرعوا مرارات الحروب العالمية.

فلا عجب إذًا أن نعلم أنَّ دولتَين اليوم لهما من الجيوش أكثر من خمسة ملايين جندي، وأنَّ العالم يملك من الرؤوس النوويَّة قرابة ٣٠ ألف رأس نووي، وهي كفيلةٌ بتدمير الكرة الأرضيَّة عدَّة مرَّات، وإهلاك الحرث والنسل.

Upload by : altawhedmag.com

ومن المعلوم يقينًا أن من قام بهذه الحروب المهلكة كانوا من الصليبيين والعلمانيين والملاحدة، ولم يكن للمسلمين فيها ناقة ولا جمل، بل كانوا من الضحايا بين الحلفاء، ويكفي أن نرد بهذا على مزاعم الملاحدة حول الإسلام وقسوته وانتهاكه للإنسان لتتجلى زيف هذه المزاعم والهرطقات.

فقد أحصى المؤلفون في السيرة النبوية العطرة عددَ القتلى الذين قُتلوا في جميع الحروب التي خاضها النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وهي سبع وعشرون غزوة، وستٌ وخمسون سريَّة، فلم يزيدوا على ألف قتيل فقط، وحقَّق الله -تبارك وتعالى- بذلك الأمن، وعم السلام وزاد الخير والوئام.

والإسلام في أعلى مقاصده يعتبر الحرب مفسدة لا تُرتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها، وأول مفسدة شُرعت الحرب لدفعها مفسدة الوثنية وعبادة الطاغوت، والصد عن سبيل الله، وإرهاب المسلمين ومنعهم من عبادة ربهم، والحفاظ على مقدساتهم.

ومما وقر في نفوس البشر أن بعض الشرور لا تُدفع بالخير، ولا تنقصم إلا بشرٍّ آخر. وإذا كانت الأحكام على الأشياء إنما هي بعواقبها وآثارها، فإن الشرَّ الذي يدفع شرًا أعظم منه يكون خيرًا كقطع بعض الأعضاء لإصلاح بقية البدن كما قال تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ» (الحج: ٣٩، ٤٠)؛ فالحق الذي لا تحميه القوة يسقط في عين أعدائه ولا بقاء له.

وإذا كانت الحروب بين البشر قد أدت إلى هلاك أمم وتساقط دول، فما بالنا لو قامت حرب بين البشر وبين خالقهم ومربيهم وموجدهم من العدم، وهو الملك والمالك للدنيا والآخرة، ونحن إنما نسير في ملكوته وفوق أرضه وتحت سمائه، فهل هناك أحد يقوى على مجابهة خالقه أو محاربته! والله إنه الهلاك الذي لا حياة بعده والعذاب الذي لا نجاة منه.

وقد أعلن الله سبحانه الحرب على طوائف ثلاث من البشر:

الأول: آكل الربا

والربا معاملة تقع بالتراضي والاتفاق فلا غصب فيها ولا إلزام وهي بمقتضى عقول بعض البشر لا يرون فيها قبحًا ولا مانعًا، ولكنها عند الله جريمة تستوجب قيام حرب لا هوادة فيها مع الله فهو الذي خلق وهو الذي شرع فلا مُعقِّب لحكمه: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ» (الأعراف: ٥٤).

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» (البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩).

قرأ عاصم وحمزة (فَآذَنُوا) مفتوحة الألف ممدودة مكسورة الذال على مثال فآمنُوا، والباقون (فأذَنُوا) بسكون الهمزة مفتوحة الذال مقصورة، أي: فأعلموا، والتقدير: فأعْلِمُوا مَن لم ينْتَه عن الربا بحرب من الله ورسوله، وإذا أمرُوا بإعلام غيرهم فهم أيضًا قد علموا ذلك، لكن ليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم، فهذه القراءة في البلاغة آكد. قال ابْنُ عَبَّاس: «فأذَنُوا بحرْب» أي: اسْتَيْقِنُوا بحرْب من الله ورَسُوله.

وعنه أيضًا قال: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَة لآكل الرِّبَا: خُذْ سِلَاحَكَ للحرْب. ثُمَّ قَرَأ: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بحرْب مِنَ اللَّه وَرَسُوله».

قال ابن القيم: "المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه. ولم يجئ هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا، وقطع الطريق، والسعي في الأرض بالفساد؛ لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض قاطع الطريق على الناس: هذا بقهْره لهم وتسلُّطه عليهم. وهذا بامتناعه من تفريح

Upload by : altawhedmag.com

كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها. فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله. وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله. (طريق الهجرتين: ص٣٧٨).

ومن محاربة الله للمرابين أنه جعل الحرب ممتدة للدار الآخرة. فأما في الدنيا فقد تنوعت أساليب حرب الله لهم. فقد توعّد المرابين بمَحْق مال الربا، وإن كان في نظر الناس كثيرًا فإنه سيزول وتكون عاقبته الهلاك؛ قال الله عز وجل: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» (البقرة ٢٧٦). وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ" (أخرجه أحمد في مسنده، وهو في صحيح الجامع ٣٥٤٢). وقال ابن الأثير: "القُلّ، بالضم: القلّة، كالذُّل والذِّلة، أي إنه وإن كان زيادةً في المال عاجلاً، فإنه يؤول إلى نقص".

يقوم آكل الربا كالمجنون، قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (البقرة ٢٧٥).

ثم إنه ملعون عند الله في كل حركة وسكنة؛ قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه"، وقال: هم سواء. (صحيح مسلم: ١٥٩٧).

ومن العقوبات التي سيتجرعها يوم القيامة: ما ورد في الحديث الذي رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا" (البخاري: ٢٠٨٥).

الحرب الثانية: المفسدون في الأرض

وقد كثر في مجتمعات المسلمين هذه الآفة، أن ترى جماعة من الشباب قد اجتمعوا وتعاهدوا على قطع طريق لمآرب كثيرة: إما للسرقة أو انتهاك الأعراض أو إخافة المارة وترويع الآمنين. ولا يعلمون أن ما يفعلونه قد استوجب محاربة الله لهم، ووجب على ولاة الأمر إقامة الحد عليهم وإلا عم الفساد وانقطعت السبل.

قال الله تعالى: «إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة: ٣٣).

المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يُطلَق على أنواع من الشر، والسبب في مشروعية هذا الحد أشد من حد السرقة: أن الاجتماع الكثير من بني آدم لا يخلو من أنفس تغلب عليهم الخصلة السبعية لهم جراءة شديدة وقتال واجتماع، فلا يبالون بالقتل والنهب، وفي ذلك مفسدة أعظم من السرقة.

وقد وقعت قصة في السنة النبوية تُفسّر ما جرى لهؤلاء: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ، ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْغِنَا رِسْلًا، قَالَ: «مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ»، فَانْطَلَقُوا، فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ

Upload by : altawhedmag.com

الطَّلب، فما ترجَّل النَّهارُ حتَّى أُتي بهم، فقطَّع أيديهُمْ وأرْجُلهُمْ، ثُمَّ أمر بمسامير فأُحميتْ فكحلهُمْ بها، وطرحهُمْ بالحرَّة، يستسقُونَ فما يُسقَوْنَ، حتَّى ماتُوا، قال أبو قلابة: قتلُوا وسرقُوا وحاربُوا الله ورسُولهُ صلَّى الله عليْه وسلَّم، وسعَوْا في الأرْض فسادًا. (صحيح البخاري ٣٠١٨، ومسلم ١٦٧١).

قال ابن عباس: "من شهر السلاح في قبَّة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظُفر به وقُدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله".

قال ابن جرير في قوله: «ذلك لهم خزي في الدنيا»: أي: شرّ وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة، «ولهم في الآخرة عذاب عظيم»: أي: إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا -في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا، والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها- «عذاب عظيم» يعني: عذاب جهنم.

الحرب الثالثة: الذين يؤذون أولياء الله تعالى

إن التعامل مع الصالحين يجب أن يكون بحذر، فأهل الله أهلٌ أن يُكرموا ويُعظموا، فأهل القرآن هم أهل الله، والعلماء أهل الله، والصالحون أهل الله، وليست الولاية فيما يظنه الناس في المقبورين وأرباب الموالد والطرقية، لا والله فكلما زاد المؤمن بطاعته زادت ولاية الله له.

فعَنْ أبي هُرَيْرَة، قال: قال رَسُولُ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم: " إنَّ الله قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقدْ آذنْتُهُ بالحرْب، وما تقرَّبَ إليَّ عبْدي بشيْءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افْترضْتُ عليْه، وما يزالُ عبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحْببْتُهُ: كُنْتُ سمْعهُ الَّذي يسْمعُ به، وبصرهُ الَّذي يُبْصرُ به، ويدهُ الَّتي يبْطشُ بها، ورجْلهُ الَّتي يمْشي بها، وإنْ سألني لأعْطينَّهُ، ولئن استعاذني لأُعيذنَّهُ، وما ترَدَّدْتُ عنْ شيْءٍ أنا فاعلُهُ ترَدُّدي عنْ نفْس المُؤْمن، يكْرهُ الموْت وأنا أكْرهُ مساءتَهُ" (رواهُ البُخاريُّ ٦٥٠٢).

أصل الولاية القرب، وأصل العداوة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين قسمين: أحدهما: من تقرّب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده

والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يُوصَل إلى التقرب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله.

والأذية: هي شاملة لكل أنواع الأذى النفسي والمعنوي والجسدي: من السبّ والقذف واللعن ونهب الأموال والظلم في الأقوال والأفعال واتهام الأبرياء بغير ما اكتسبوا، وغير ذلك مما يطول سرده من أنواع الأذى. وهذا كله حرام؛ لأن الله سبحانه وتعالى حرم كل أنواع الأذى فقال: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (الأحزاب: ٥٨).

فإنه تعالى يتولى نُصرة أوليائه، ويحبّهم ويؤيدهم، فمن عاداهم، فقد عادى الله وحاربه.

وقال الحافظ أبو نعيم: كيف تستجيزُ نقيصة أولياء الله، ومؤذيهم يُؤْذَنُ بمحاربة الله؟!

فاللهم إنا نبرأ إليك من الربا ومن أباحه، وقطع السبيل ومن أتاحه، وظلم الأولياء وقد تبين لمبغضه هلاكه.

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

إعمال الفكر في قواعد الذكر

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن ذكر الله تعالى هو السبيل لقربه سبحانه، والطريق الأسرع لحبه، والحبل المتصل لدينه. بالذكر تُستدفع الآفات، وتنكشف الكربات، وتهون المصيبات. إذا أظلنا البلاء فإليه ملجؤنا، وإذا نزلت النوازل فإليه مفزعنا.

والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم مأمورون بذكر الله المعبود والمحبوب في كل حال، قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم. فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا؛ ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زيَّن الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

والذكر سببٌ لشرح الصدور وشفاء الأسقام في الدنيا، وهو نور القبور، فما استشفى أحد بمثل كلام الله وذكره، وما استُدفعت الأسقام إلا بعفوه.

قال الله جل وعلا: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ»

Upload by : altawhedmag.com

(يونس: ٥٧، ٥٨). وقال المفسرون في معنى الفضل هو الإسلام، والرحمة هي القرآن.

ولكن رأينا اليوم أقوامًا لم يتأدبوا بآداب الذكر، ولم يراعوا أهمية التمعُّن والفكر، فاستعملوا بعض الأذكار لتحصيل الإعجابات وجمع أكبر عدد من المشاهدات، وكأن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- أصبحت وسيلة من وسائل جمع الثروات، وليس لتزكية النفس من الدنايا والموبقات.

جملة من آداب وقواعد الذكر:

ولأننا نستقبل شهرًا فضيلًا وموسمًا من مواسم الذكر عظيمًا؛ فقد رأيت أن أذكر بعض القواعد المهمة للذاكرين؛ لنعلم أن الذكر يحتاج منا إلى التأمل وحضور القلب بيقين، فها هي جملة من الآداب والقواعد لمن أراد سلوك سبيل المؤمنين:

- شرط حصول الأجر الكامل في الأذكار: تواطؤ القلب مع اللسان.

فالذين يتمايلون بلا تفكُّر، ويحملون المسابح بلا تدبُّر ويهزُّون رؤوسهم بلا تعقُّل؛ لا ينتفعون من الذكر إلا بقدر ما عقلته قلوبهم.

قال شيخ الإسلام: الناس في الذكر أربع طبقات:

أحدها: الذكر بالقلب واللسان، وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيرًا؛ إلا حركة لسانه بذكر الله، ويقول الله تعالى: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

الرابع: عدم الأمرين وهو حال الخاسرين. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٠/ ٥٦٦).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الاستغفار أنْ تقول: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قال: ومَن قالها من النَّهارِ مُوقِنًا بها، فمات من يومِه قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فهو من أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فمات قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فهو من أهْلِ الجَنَّةِ». (صحيح البخاري: ٦٣٠٦).

قال النووي: فلا بد للمُسبِّح أن يعتقد تسبيح الله وتنزيهه، وللحامد أن يعتقد استحقاق الله للحمد، ولا بد للمُكبِّر أن يعتقد أن الله ليس أكبر منه شيء لا في ذاته ولا في كمال أسمائه وصفاته. (الأذكار: ص٤٠).

- ذكر الله في الأزمنة الفاضلة محل لاستجابة الدعاء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)؛ وهذه الآية توسطت أحكام الصيام، فدلت على مشروعية الذكر والدعاء عند إتمام الأعمال.

قال الحافظ ابن كثير: "وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخلِّلة بين أحكام الصيام إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر".

- الذكر في الزمان الفاضل والمكان الفاضل أفضل منه في المكان والزمان المفضول

من المفاسد التي وقعت في زماننا أن نرى من يذكر الله في موضع ينبغي أن يُنزَّه فيه عن مثل ذلك، مثل اجتماعات الرقص والخلاعة، والغناء، وفي الأسواق مع الباعة، ويا ليتهم يفعلون ذلك للتذكير والوعظ والإنابة، ولكن للفت الانتباه وجلب الأرزاق وبيع البضاعة.

وتقرير ذلك أن الزمان والمكان الفاضلين مما تُضاعَف فيه الحسنات، هذا هو الأصل، والذكر من أحسن الحسنات، فهو يُضاعَف في الحرمين وفي شهر رمضان.

Upload by : altawhedmag.com

قال الحافظ ابن رجب: "واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل؛ كالحرم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام.

وفي تضاعف جوده -صلى الله عليه وسلم- في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة: منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه. (لطائف المعارف: ص١٥١).

- الأذكار الشرعية شُرعت لأغراض صحيحة للتعبُّد بها، وليس لأغراض دنيئة

فالإتيان بها لغير ما شُرعت له عدولٌ عن الطريق السوي وافتئات على المنهج الرباني، فما شُرعت الأذكار إلا لنيل الثواب، ودفع العقاب، ورفع الدرجات، ونيل القربات، أما أن تكون سلعة ووسيلة لكل مُقتات فهيهات هيهات!!

قال في البحر الرائق ٨/ ٢٣٥: "ولو فتح التاجر السلعة فصلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وأراد بذلك إعلام المشتري جودة ثوبه، فذلك مكروه".

وفي الفتاوى الهندية (٥/ ٣١٥): الكلام منه ما يوجب أجرًا كالتسبيح والتحميد وقراءة القرآن والأحاديث النبوية وعلم الفقه، وقد يأثم به إذا فعله في مجلس الفسق وهو يعلمه؛ لما فيه من الاستهزاء والمخالفة لموجبه، وإن سبح فيه للاعتبار والإنكار وليشتغلوا عما هم فيه من الفسق فحسنٌ".

- الأصل في الذكر أن يكون سرًا، وانما يُشرع الجهر في مواضع، لأغراض صحيحة.

قال الله جل وعلا: «وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ» (الأعراف: ٢٠٥)؛ قال ابن كثير في تفسيره: «ودُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ»: وهكذا يُستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء ولا جهرًا بليغًا.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا؛ إن الذي تدعونه سميع قريب» البخاري (رقم: ٤٢٠٥) ومسلم (رقم: ٢٧٠٤). ومعنى «اربَعوا على أنفُسكم»، أي: ارفُقوا بأنفُسكم.

- من آداب الذكر صون محالّ الذكر ومجالسه من القواطع والمفسدات والمشوشات.

ولهذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم استعمال المساجد في غير ما وضعت له، فقال: «من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردّها الله عليك؛ فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا» (صحيح مسلم ١١٩٧).

- الأصل أن يقوم العبد بالذكر من تلقاء نفسه ولا يقوم به غيرُه.

فالذكر عبادة لا تدخلها النيابة كالصلاة فلا يُصلِّي أحدٌ عن أحد. وهذا لا يمنع الإعانة بالتلقين للجاهل والتعويذ للصبية، وقد تعوّد بعض الناس في مجالسهم أنهم إذا تكلموا بكلمة أمروا غيرهم أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون ذلك في مواقف متعددة: مرة في مزاح وأخرى في مشاجرة، ولم يُعْهَد من طريقة سلفنا الصالح أنهم كانوا يفعلون ذلك في مجالسهم.

- الاستهزاء بالأذكار الشرعية أو الاستخفاف بها كُفرٌ مُخرج من الملة.

قال الله جل وعلا: «قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» (التوبة: ٦٥، ٦٦)؛ ومن صور الاستخفاف بالذكر أن يُفتتح به الاجتماعات الباطلة، والمؤتمرات الآثمة، تبركًا بالذكر -زعموا-، لا والله، إنهم من الخير

Upload by : altawhedmag.com

فروا، وإلى طاعة الشيطان فَرَوا.

- الذكر المطلق لا يجوز تقييده بزمان أو مكان أو حال إلا بدليل:

بل يعمل به بإطلاق؛ كما جاء بإطلاق، والتقييد له موقوف على ثبوت الخبر، وإلا كان ضربًا من ضروب البدع.

مثاله: الأمر بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله جل وعلا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (الأحزاب: ٥٦)، فلو ذهب ذاهب إلى تقييد ذلك عند وضوئه، أو عند أكله لكان ذلك ممنوعًا، ولو التزمه عند دخول المسجد وخروجه منه لكان ذلك مشروعًا لثبوت الخبر، وقسْ على ذلك سائر الأذكار.

قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ٣١٨): فإذا ندب الشرع مثلًا إلى ذِكْر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات؛ لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن تفهم التشريع، وخصوصًا مع مَن يُقتدى به في مجامع الناس كالمساجد؛ فإنها إذا ظهرت هذا الإظهار ووُضعتْ في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف؛ فُهم منها بلا شك أنها سنن، وإذا لم تُفهم منها الفرضية، فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدلّ به، فصارت من هذه الجهة بدعًا مُحدثة.

- الأصل أن الأذكار لا بد من الإتيان بها بألفاظها دون زيادة أو نقص أو تبديل:

لأن ألفاظ الشارع مقصودة يُتعبَّد له بها، وهذا يفوت بالمخالفة؛ لأن الذكر عبادة بابها التوقيف، والوقوف على الرسوم، ولهذا في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما-، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن. الحديث.

فدلّ ذلك على وجوب التقيُّد باللفظ النبوي.

وفي حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إذا أتيتَ مضجعَكَ، فتوضأْ وُضوءَكَ للصلاة، ثُمَّ اضطجعْ على شقِّكَ الأيمن، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسلمْتُ وجْهي إليْكَ، وفوَّضْتُ أمْري إليْكَ، وألْجأْتُ ظَهْري إليْكَ، رَغْبةً ورَهْبةً إليْكَ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجا منْكَ إلَّا إليْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكتابِكَ الذي أنْزلْتَ، وبنبيِّكَ الذي أرْسلْتَ، فإنْ مُتَّ من ليْلتِكَ، فأنْتَ على الفطْرةِ، واجْعلْهُنَّ آخرَ ما تتكلَّمُ به. قال: فرَدَدْتُها على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فلَمَا بلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكتابِكَ الذي أنْزلْتَ، قُلْتُ: ورَسولِكَ، قالَ: لا، ونبيِّكَ الذي أرْسلْتَ. صحيح البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

قال الحافظ ابن حجر مُعلِّقًا: "وأولى ما قيل في الحكمة في رده -رضي الله عنه- على من قال "الرسول" بدل "النبي"، أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري، قال: فيُقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفه.

فاللهم متِّعنا بذِكْرك، وارزقنا شكرك، وأسبغ علينا فضلك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

الجان واستماعهم للقرآن

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
مأمور فرع بلبيس

الحمد لله منزل القرآن، حُجّة الله على الإنس والجان، الفارق بين الحق والبهتان، المبين وسائل الشيطان، والهادم لمعالم الطغيان، به أعجز الله الإنس والجان، أرسله على نبيه في فترة من الزمان، بعد أن درس الوحي من الأركان، فكانت رسالته شاملة كي يتحاكم إليه الثقلان، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم خاطب به أهل مكة، وقد أمره الله أن يتلو عليهم القرآن، وطلب منهم أن يستمعوا لآيات الذكر ليؤوبوا إلى الرحمن، فقال تعالى في مطلع سورة فصلت وهي مكية: « حٰمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ » (فصلت: ١- ٥)؛ فأظهروا الإعراض الكامل عن سماع الذكر بكل الوجوه، فقلوبهم مغطاة ومغلفة، وآذانهم فيها صمم لا يسمعون، بل قالوا: إن الحجب بيننا وبينك يا محمد كبيرة كما زعموا فلا نراك، وهذا من أعظم الخذلان؛ حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا.

فحزن النبي صلى الله عليه وسلم من إعراضهم ونكوصهم عن سماع الذكر والبيان، ولم ييأس فطاف على الناس في كل مكان، يغشاهم في مجامعهم وأسواقهم ليتلو عليهم القرآن.

وبعد موت خديجة وعمه أبي طالب ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليُعلّمهم القرآن، لكنه رجع يجر أذيال الحزن، وقد قابلوه بكل أنواع الإعراض، فأراد الله أن يُسلّي نبيه بإيمان خلق من الجان يستمعون القرآن أحسن الاستماع، قد أنصتوا عند تلاوته وتعجبوا من سماعه، وآمنوا بآياته، ورجعوا إلى قومهم منذرين، وبوعده مرغبين، وبوعيده محذرين، وبالإيمان بنبيه راغبين، وكانوا قد شعروا بتغيُّر الأكوان وتهيؤ الزمان لاستقبال نبي من ولد عدنان، فوجدوا أن الشهب قد رصدتهم، وأن خبر السماء لم يعد في

Upload by : altawhedmag.com

قدرتهم، فاجتمع إبليس اللعين وطلب من مردتهم أن يطوفوا الأرض وينظروا ما سبب شدتهم.

فعَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُما، قَالَ: " انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم في طَائِفَة مِنْ أَصْحَابه عَامِدِينَ إِلَى سُوق عُكَاظ، وَقَدْ حِيل بَيْنَ الشَّيَاطِين وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُب، فَرَجَعَت الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْض وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوق عُكَاظ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِه صَلاَةَ الفَجْر، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَالله الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» (الجن: ٢)، فَأَنْزَلَ الله عَلَى نَبِيِّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ» (الجن: ١) وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْه قَوْلُ الجِنّ" (البخاري ٧٧٣، ومسلم ٤٤٩).

هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجُّه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قُضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، وكان هذا في أوائل البعثة، وكانوا يسترقون السمع، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم كان من يسترق يُحرق بشهاب من السماء، وها هم الجن يقولون: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا» (الجن: ٨- ٩).

إن المتمعن في إيمان الجان يرى عجبًا لأهل الزمان، لما أغلق الإنس آذانهم عن سماع القرآن أرسل الله خلقًا من الجان تعاملوا مع القرآن عند سماعه، وقد أخذوا بكل مراتب أخذ القرآن وهي خمس:

١- الاستماع، قال الله عز وجل: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» (الجن: ١).

٢- التلاوة، فقد ذهبوا بالقرآن إلى قومهم، وتلوا عليهم الآيات، قال الله عزَّ وجلَّ: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ» (الأحقاف: ٢٩:٣١).

٣- الحفظ، فقد حفظوا الآيات وتناقلوها فيما بينهم ونشروها في الآفاق.

٤- التدبر، فلو لم يكونوا قد تأثروا بالقرآن ما اجتمعوا لسماعه بهذا التكالب، ولنا أن نقرأ هذه الآية الدالة على تجمهرهم لسماعه وتدافعهم لينهلوا من بيانه؛ قال الله تعالى: «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» (الجن: ١٩)؛ وفي هذه الآية وصف عظيم؛ إذ وصف الجان بحرصهم على سماع القرآن، فمعنى "لبدًا" كما قال البغوي: «كادوا» يعني الجن «يكونون عليه لبدًا» أي يركب بعضهم بعضًا ويزدحمون حرصًا على استماع القرآن. هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقرأ هشام عن ابن عامر: "لبدا" بضم اللام، وأصل "اللبد" الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه، وتلبد الشعر: إذا تراكم.

٥- العمل، فبعد سماعهم للقرآن آمنوا به وانخلعوا من تبعة أهل الضلال من الأبالسة، ففي لحظة من الزمان يتحولون من قادة الشر واتباع الشيطان إلى خلق قد تجرد للإيمان، ولم يخف من ذي سلطان، فها هم يهاجمون قادة الشر من الشياطين، ويعلنون البراءة منهم، فقالوا عن إبليس: «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا» (الجن: ٤)؛ أي: جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس. و«على الله شططا»

Upload by : altawhedmag.com

كذبًا وعدوانًا، وهو وصفه بالشريك والولد.

فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» (الأحقاف: ٣٠)، ولوا إلى قومهم مسارعين يقولون لهم: إنا سمعنا كتابًا جديدًا أنزل من بعد موسى، يصدق كتاب موسى في «مصدقا لما بين يديه»؛ أي: من الكتب المنزلة قبله على الأنبياء. وقولهم: «يهدي إلى الحق»؛ أي: في الاعتقاد والأخبار، «والى طريق مستقيم» في الأعمال، فإن القرآن يشتمل على شيئين: خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل، كما قال: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» (الأنعام: ١١٥)، وقال: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ» (التوبة: ٣٣)، فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: «يهدي إلى الحق» في الاعتقادات، «والى طريق مستقيم»، أي: في العمليات.

ولم يكتفوا بهذا بل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى مجامعهم ويعلن القرآن على مسامعهم، فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الجنّ والإنس، يقول ابن تيمية: "وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة، وغيرهم. يدل على ذلك تحدي القرآن للجن والإنس: «قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الإسراء: ٨٨).

وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبيلة من الجن وقرأ عليهم القرآن، وقرع مسامعهم بآيات الذكر والفرقان، فعَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ». قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: "لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ» (صحيح مسلم: ٤٥٠).

بل إنهم لما تُليت عليهم آيات الرحمن خروا لها سُجدًا مع أن كبيرهم وقائدهم أبى السجود فلم يقولوا: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ» (الزخرف: ٢٣)، بل خالفوا منهج الآباء إذ كان مناقضًا لهدي القرآن، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ» (صحيح البخاري: ١٩٣١).

فالشيطان أبى أن يسجد للرحمن، وكلما سجد آدمي عند سماع القرآن ولي الشيطان يدعو على نفسه بالويل والخسران، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: يَا وَيْلِي- أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ" (صحيح مسلم ٨١).

ففي إيمان الجان عبرة لكل مؤمن، وتسلية لكل مهموم، وليعلم الجميع أن الإسلام أكرم على الله ممن ينتمي إليه، فإن قام به حَمَلته رَفعهم الله، وان تخلوا عنه أتى الله بخلق آخر يحمل رسالة الله «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم» (محمد: ٣٨).

والحمد لله أولًا وآخرًا.

Upload by : altawhedmag.com

الطائفة المنصورة بين الطوائف المنكوبة

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

مع اقتراب الساعة تتغير الأكوان، ويكثر الخلاف في الأوطان، وتتعدد مشارب أهل الزمان، وتزداد الفرقة ويفشو الطغيان، وكلٌ فرح بما فهمه من دلائل الوحي والفرقان.

وقد كثر الأدعياء، واختلطت المفاهيم حتى عند من نظنهم أسوياء، ولمناصرة الباطل أبرياء، وعن المخلطين والمخالفين أبعد الشركاء، وفي خضم هذه الفترات، تكثر الأقاويل والافتراءات، من أناس يدعون أنهم للحق مدافعون، وعن حياض الدين مناضلون، ولأعداء الله محاربون، وللإسلام ناصرون، وللسنة ونصرتها قائمون.

وللحق أقول: إن الدعاوى لا تقبل إلا ببينة، وكل إناء بما فيه ينضح، وكل طائفة تقاس بمعينها، وما تعتمد عليه في أصولها، واليوم نرى بونًا كبيرًا وخرقًا عظيمًا بين أبناء الملة، من افتراق الصف، وكثرة النقد، والاستخفاف بأعراض المخالفين والجراءة في الرد، وهذا لأنهم قد تأثروا بشيوخهم أو قادتهم أو المؤثرين على رؤيتهم أو مصلحة جماعتهم، ونصوص الوحي صارت عرضة للدفع والتأويل أو للرد لأنها بزعمهم عرضة للتعليل.

إلا طائفة أهل الحديث فإنهم للحق أدلاء، ومن الشرك برآء، ولدين الله ونصرته أوفياء، وللسنة ونصرتها أقوياء، فهم أهل السنة حقًا، والناصرون للسنة دومًا، والقامعون للبدعة وأهلها أزلًا، فكم عاندهم المعاندون، ووشى بهم الواشون، لكنهم لدين الله ظاهرون، وإن خذلهم المخذلون، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المُغيرة بْن شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ

Upload by : altawhedmag.com

وهُمْ ظاهرُون» البخاري(٧٣١١)، ومسلم(١٩٢١).

وقد نقل كثير من السلف المعنى المقصود بهذه الطائفة، ففي كتاب شرف أهل الحديث للخطيب البغدادي عقد فصلا في بيان هذا الحديث، ونقل نقولات عدة عن شرفهم، وساق روايات هذا الحديث فقال: قال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟!

وقال ابن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث.

ونقل بإسناده عن الفضل بن زياد، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟.

وساق بإسناده أيضًا عن أبي حاتم، قال: سمعت أحمد بن سنان، وذكر، حديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق»، فقال: هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

ونقل عن أبي عيسى الترمذي قال: قال محمد بن إسماعيل " قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

ونقل عن البخاري قولا عظيمًا في شأن أهل الحديث قال محمد بن إسماعيل البخاري: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد عقد الخطيب البغدادي فصلا في كتابه بعنوان: كون أصحاب الحديث أمناء الرسول صلى الله عليه وسلم لحفظهم السنن وتمييزهم لها. وساق عن أبي حاتم الرازي، قوله: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»، فقال: له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح؟ فقال: " علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها، ثم قال: «رحم الله أبا زرعة، كان والله مجتهدا في حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم» ونقل عن كهمس الهمذاني قال: " مَنْ لَمْ يتحقق أن أهل الحديث حفظة الدين، فإنه يعد في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ص:٤٤): ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ (الزمر: ٢٣) . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثني جبرائيل عن الله عز وجل "

وعقد فصلا آخر بعنوان: كون أصحاب الحديث حماة الدين بذبهم عن السنن. وساق بإسناده عن سفيان الثوري، قال: «الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض»

ثم عقد فصلا هامًا حول استحقاق أصحاب الحديث الاستقامة على الطريقة فقال: من قال: إن الحق مع أصحاب الحديث

ونقل عدة آثار في ذلك فمنها ما نقاه عن هارون الرشيد، يقول: " طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث"

ونقل عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن قريش العنبري البصري، يقول: «كل من ذهب إلى مقالة، ففزع منها إلى غير الحديث، فإلى الضلالة يصير»

وقد نقل الإمام الذهبي عن الشافعي قوله: عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صوابًا . سير أعلام النبلاء(١٠/ ٧٠). وقد عقدت فصلا في كتابي

Upload by : altawhedmag.com

(تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء) حول فضل أهل الحديث فانظره فإنه هام.

ولو عددنا مناقب أهل الحديث لطال الحديث فهو بحر لا ساحل له. لكن بحسبك أن تعلم أن أهل الحديث هم: أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية فمن لم ينج باتباع الحديث فبما ينجو؟!.

قال شيخ الإسلام أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣). و هم الطائفة المنصورة فمن لم ينتصر بالحديث فبم ينتصر؟!. وهم الظاهرون على الحق إلى قيام الساعة. فمن لم ينتصر بالحديث فبم ينتصر فإن ألسنتهم تنطق به وقلوبهم تلهج به، وأهل الحديث هم أهل النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا.

وأهل الحديث، ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها تصديقا وعملاً، وحبا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف فما كان من معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم)) (مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣).

وأهل الحديث ليسوا حزبا أو فرقة من فرق الأمة بل يجمعهم منهج وإن تشعبت بلادهم وتفرقت أوطانهم، وقد قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث. شرح النووي على مسلم (٦٥/١٣).

وبحمد الله لن تخلو الأرض من هذه الثلة المؤمنة المباركة، وقد متعنا الله تعالى برؤوس هذه الطائفة. وكانوا منذ بدء هذه المجلة الغراء: "الهدي النبوي" ثم "التوحيد" لهم قلم سيال، يكتب ويدافع عن السنة النبوية في أعدادها، وكان على رأس هؤلاء العلامة المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ ومؤلفاته وتحقيقاته سارت بها الركبان، وانتفع بها خلق في كل قطر ومكان، وسار على منواله المحدث أبو إسحاق الحويني عليه رحمة الله، وكان أقرب الناس لأبي الأشبال أحمد شاكر في طريقته وتصنيفه فكلاهما قد شرعا في أمهات عدة، وكلاهما قد توفيا قبل أن يستكملا عملهما، وما كان ذلك إلا لعلو الهمة والحرص على نفع الأمة ودفع الدخيل عن السنة. فاللهم اجزهما عنا خير الجزاء، وشفع فيهما النبي المصطفى، واقبل شفاعتنا فيهما إنك يا ربنا قريب الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

عقد الإيجار... ومَن الأحق بامتلاك الدار؟

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع البيمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد كثر القيل والقال في حكم عقود الإيجار، واضطربت الأقوال في حق المالك والمستأجر، ومن هو أحق بالقرار، وباب الكراء والإيجار من أبواب الفقه المستفيضة عند أهل العلم الأبرار، والمسألة لا تُعد نازلة فقهية بقدر ما هي تعدُ أو جهل بحكم فقهاء الأمصار، فهو عقد معاوضة بين طرفين وهما المالك والمستأجر بالشروط والأحكام المقررة في الشريعة الغراء، ولو رجع الناس في أقضيتهم إلى أهل العلم لزال الخلاف واستقامت معايشهم، ورضي كل واحد منهم بحكم الشرع في الأموال والعقار.

وسأتناول هذه القضية من خلال محاور ثلاثة، لعل الله يشرح صدور المتنازعين في المال والأثاث.

الأول: حرمة المال الخاص إن كان أرضًا أو عقارًا.

الثاني: الشريعة أرْسَت قواعد باب الإيجار وبينت أحكامه.

الثالث: حكم التأجير المعاصر المسمى: بالإيجار القديم ومن أحق بالعقار.

أولًا: حرمة المال الخاص إن كان أرضًا أو عقارًا

ديوان المظالم بين العباد من أخطر الدواوين عند الله، فهو ديوان لا يُمحَى إلا بردّ المظالم إلى أصحابها، فالظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله.

وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يُمحَى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة، ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يُمحَى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحَى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولهذا حرم الله تعالى مال الغير وشدّد في عقوبة أكله، فعن ابن عبّاس-رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ (البقرة: ١٨٨)؛ قال: هذا في الرَجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بيّنة فيجحد المال ويخاصمهم إلى الحكّام، وهو يعرف أنّ الحقّ عليه، وقد علم أنّه آثم، أكل حرام.

وقال قتادة عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم ﴾ (البقرة: ١٨٨)؛ اعلم يا ابن آدم أنّ قضاء القاضي لا يُحلّ لك حرامًا، ولا يُحقّ لك باطلًا، وانّما يقضي

Upload by : altawhedmag.com

القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب، واعلموا أن من قضي له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضى به للمبطل على المحق في الدنيا.

ففي الآية نزل مال أخيك بمنزلة مالك، والمعنى: "لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق حتى لو قضى القاضي لك وأنت تعلم أنك ظالم، فإن ذلك لا يخرجك من تبعة المال يوم القيامة، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار، صحيح مسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وقد ورد حديث شديد الوعيد في حق من يقتطع أرض غيره.

فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه، طوقه في سبع أرضين يوم القيامة"، اللهم، إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، قال: "فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار، فوقعت فيها، فكانت قبرها" متفق عليه.

ومعنى التطويق فكما قال الخطابي (طوقه) له وجهان أحدهما: أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر فيكون كالطوق في عنقه، والثاني: أن يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين، وقال النووي: وأما التطويق فقالوا: يحتمل أن معناه أن يحمل منه من سبع أرضين ويكلف إطاقته ذلك، أو يجعل له كالطوق في عنقه ويطول الله عنقه كما جاء في غلظ جلد الكافر وعظم ضرسه، أو يطوق إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه.

وقد ورد الحديث من وجه آخر عن يعلى بن مرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ سبع أرضين، ثم يطوقه يوم القيامة حتى يفصل بين الناس" السلسلة الصحيحة (٢٤٠).

فالظلم في هذا الباب ليس كظلم في غيره، وهو أنواع فمنه غصب الأرض والعقار، ومنه منع أجرة العامل بعد استيفاء عمله وجحد حقه وهو يعلم مسكنته وحاجته للطعام والكسوة والعقار: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره." صحيح البخاري (٢٢٢٧).

ثانيا: حكم الإجارة:

جاء في كشاف القناع في تعريف الإجارة: "وهي عقد على منفعة مباحة معلومة تؤخذ شيئا فشيئا مدة معلومة من عين معينة أو موصوفة في الذمة، أو عمل معلوم بعوض معلوم".

فعقد الإجارة عقد مؤقت إما بمدة معلومة، أو بإنجاز العمل المتفق عليه، وأنه عقد لازم، يقتضي تمليك المؤجر الأجرة، وتمليك المستأجر المنفعة مدة مؤقتة، ولا يحق لأحد منهما فسخه قبل انقضاء عقد الإجارة إلا برضاهما، فإذا انتهت مدة الإجارة، أو فرغ المستأجر من إنجاز العمل فقد انتهى عقد الإجارة، وللطرفين الخيار في تجديد العقد أو إنهائه، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء.

فعندنا مسألتان مهمتان حول قضية الإيجار القديم

الأولى: عقد الإيجار هو عقد على المنافع وليس على الأعيان.

والثاني: أن عقد الإجارة من شروطه أن يحدد زمن الإجارة بوقت معلوم.

وهاتان المسألتان محل اتفاق من علماء الأمة.

قال ابن المنذر: فقد ثبتت الإجارة بكتاب الله-جل ثناؤه-، وبالأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق على إجازتها كل من نحفظ قوله من علماء الأمة، فإذا استأجر الرجل من الرجل الدار قد عرفاها وقتا معلوما بأجل معلوم ثبتت الإجارة وملك المستأجر منفعتها إلى انقضاء الوقت، وملك عليه رب الدار الأجرة، وهذا قول أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم.

Upload by : altawhedmag.com

وقال أيضًا: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن إجارة المنازل والدواب جائز، إذا بين الوقت، والأجر، وكانا عالمين بالذي عقدا عليه الإجارة، وبينا من يسكن الدار ويركب الدواب أو ما يحمل عليها. الأوسط (١١/١٦٨).

وقال العيني: محل الإجارة المنافع لا الأعيان باتفاق الفقهاء. البناية (٨/١٥٩).

وقال ابن قدامة على متن الخرقي: (وإذا وقعت الإجارة على مدة معلومة، بأجرة معلومة، فقد ملك المستأجر المنافع، وملكت عليه الأجرة كاملة، في وقت العقد، إلا أن يشترطا أجلا).

هذه المسألة تدل على أحكام ستة-وأذكر منها ما يتعلق بمسألتنا-:

أحدها: إن المعقود عليه المنافع. وهذا قول أكثر أهل العلم منهم: مالك، وأبو حنيفة، وأكثر أصحاب الشافعي.

الثاني: إن الإجارة إذا وقعت على مدة يجب أن تكون معلومة كشهر وسنة. ولا خلاف في هذا نعلمه، لأن المدة هي الضابطة للمعقود عليه، المعرفة له، فوجب أن تكون معلومة.....

ولا تتقدر أكثر مدة الإجارة، بل تجوز إجارة العين المدة التي تبقى فيها وإن كثرت. وهذا قول كافة أهل العلم. إلا أن أصحاب الشافعي اختلفوا في مذهبه، فمنهم من قال: له قولان؛ أحدهما، كقول سائر أهل العلم. وهو الصحيح. الثاني لا يجوز أكثر من سنة؛ لأن الحاجة لا تدعو إلى أكثر منها. ومنهم من قال: له قول ثالث، أنها لا تجوز أكثر من ثلاثين سنة؛ لأن الغالب أن الأعيان لا تبقى أكثر منها، وتتغير الأسعار والأجر.

ولنا قول الله تعالى إخبارًا عن شعيب-عليه السلام-، أنه قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (القصص: ٢٧)، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يقم على نسخه دليل. ولأن ما جاز العقد عليه سنة، جاز أكثر منها، كالبيع والنكاح والمساقاة.....

والإجارة على ضربين: أحدهما: أن يعقدها على مدة. والثاني أن يعقدها على عمل معلوم، كبناء حائط، وخياطة قميص، وحمل إلى موضع معين. فإذا كان المستأجر مما له عمل كالحيوان، جاز فيه الوجهان؛ لأن له عملا تتقدر منافعه به، وإن لم يكن له عمل كالدار والأرض، لم يجز إلا على مدة. ومتى تقدرت المدة، لم يجز تقدير العمل. المغني (٥/٣٢٣) وما بعده.

ثالثًا: حكم الإيجار الدائم

من خلال ما تقدم حول شروط عقد الإيجار والتي منها منع امتلاك المستأجر العين، وتوقيت الإيجار بزمن، يتبين من خلال هذين الشرطين فساد عقد الإيجار الحادث في مجتمعنا؛ إذ افتقر إلى أهم شروط العقد، ولا يقال: إن عقد الإيجار هو مشاهرة وقد أجازه بعض العلماء وهذا كلام باطل. إذ إن عقد المشاهرة في كُتب الفقه له صورة تخالف الصورة الحادثة، قال ابن المنذر تحت باب: اكتراء الدار مشاهرة: "اختلف أهل العلم في الرجل يكتري الدار كل شهر بكذا، فيسكن شهرًا أو بعض شهر، ثم يريد الساكن الخروج، أو يريد رب الدار إخراج الساكن. فقالت طائفة: للمكري أن يخرجه إن شاء، أو يقبض منه ما سكن من الشهر الآخر، وسواء تكاراها مشاهرة أو تكاراها أشهرا مسماة. هذا قول مالك.

وكرهت طائفة هذا الكراء. وممن كره ذلك: الثوري حتى يسمي شهرًا معلومًا، وأشهرًا معلومة.

وقالت طائفة: لرب الدار أن يخرج الساكن عند انقضاء الشهر، وللساكن أن يخرج عند انقضاء الشهر، وإن دخل في الشهر الثاني يوم أو يومان فليس له أن يخرج حتى ينقضي الشهر.

هذا قول أبي ثور، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، غير أن هؤلاء قالوا-أعني أصحاب الرأي-: ليس له أن يخرج، ولا لرب الدار أن يُخرجه إذا مضى من الشهر يوم إلا من عذر. الأوسط لابن المنذر (١١/١٦٩).

وكل شرط في العقود ليس في كتاب الله فهو باطل؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ، شَرْطُ اللَّهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ» البخاري (٢١٥٥) وغيره.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by : altawhedmag.com

المعيار

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

من البلايا المنهجية التي وقعت في زماننا: خروج نابتة من الأمة تدّعي الوصاية على حملة الشريعة، بل وعلى الشريعة ذاتها، مع اختلاف المسميات والوجوه والأهداف، لكنّهم وضعوا معيارًا دخيلاً تدور عليه الأحكام، وتُعقَد عليه معاقد الولاء والبراء، هذا المعيار قد يكون مسألة من مسائل الدين أو حادثة وقعت في بعض الأحايين، أو نازلة عمّت الخلق واضطربت فيها أقوال المتنازعين، فأتى هؤلاء واعتقدوا فيها قولاً ظنّوا بزعمهم أنها مسألة أصل الدين ومنبع الاتباع وطريق العز والتمكين، ورموا من خالفهم بالجهل والتضليل والبعد عن الهُدَى المبين، وهي عندهم سبيل الضالين، هؤلاء المتعصبة في الواقع هم أبعد الناس عن الاتباع؛ إذ هناك فرق كبير بين التعصب والاتباع، والحدُّ الفاصل بينهما هو: قبول الحق إذا بان له، أو عدم قبوله؛ فمتى كان مُوطِّنًا نفسه على قبول الحق؛ ثم يخضع له متى ما تبيَّن له؛ فهو ليس بمتعصِّب، أمّا إذا كان متَّبعًا لمتبوعه على أي حال، بغضّ النظر عن الدليل؛ فهذا هو المتعصِّب والمقلِّد على غير دليل.

فهؤلاء ومن يتابعهم يعيشون في قوقعة، اعتقدوا أمرًا ثم جيَّشوا أدلة تناصر عقيدتهم، وهذا من أعظم المثالب المنهجية التي أدّت إلى الشقاق والافتراق، فطالب الحق يجب أن يفهم النصوص على ما هي عليه، ثم يكون فهمه تابعًا لها، لا أن يُخضع النصوص لفهمه أو لما يعتقده، ولهذا

Upload by : altawhedmag.com

يقولون: "استدل ثم اعتقد". وليس العكس: لأنك إذا اعتقدت ثم استدللت ربما يحملك اعتقادك على أن تحرف النصوص إلى ما تعتقده، كما هو ظاهر في جميع الملل والمذاهب المخالفة لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأعظم ضلال وقعت فيه الفرق الضالة إنما أتى من هذا المسلك، فالشيعة الإمامية جعلوا قضية الإمامة معيار الاتباع، والخوارج جعلوا الإمعان في الأعمال والغلو فيها معيارًا للحق، والأشاعرة والفرق الكلامية أمعنوا في تقديس العقول واتبعوا قواعد المتكلمين لمعرفة الله .... إلى آخره.

وسرى هذا الداء في الأمة إلى وقتنا، ففي الأمة طائفة نصبت مسألة الثورات معيارًا للاتباع أو العكس، وفي المقابل فريق نصب الدخول في العمل السياسي معيارًا ودليلاً على الحق، وآخرون نصبوا حب شيخ أو مسمى حادث معيارًا للاتباع، وآخرون قالوا: إن معيار الاتباع أن تكون صوفيًا أو أشعريًا، وطلاب علم نصبوا مسألة من مسائل الفقه معيارًا ودليلاً على الحق، وكل هؤلاء على طرائق، وطريق الحق أبلج واضح، وليست كل مسألة تُعقد عليها رايات الولاء والبراء، ولا كل خطأ وقع من عالم تُنصب له مقصلة الحكم والتدابر والافتراء، فخلاف الحق والضلال هذا الذي لا نلين فيه ولا نسهل القول به.

وأما ما يسع الناس من الخلاف السائغ: فقد قرَّر العلماء مسائل أدب الخلاف وقعَّدوا لها أصولاً جامعة، ومنها أن الرد في مسائل الخلاف السائغ لا يوجب النفرة كما قالوا: "في الرد تضطغن العقول وليس تضطغن الصدور".

لأن متعلق الولاء والبراء هو الإيمان والاتباع والعمل الصالح، ولا يبنى على مسألة أو نازلة أو زلة لعالم أو موقف حادث: قال شيخ الإسلام: "وأما ما يشبه ذلك من وجه دون وجه: فهو: ما تنازعوا فيه مما أقروا عليه وساغ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والأمراء والملوك كاجتهاد الصحابة في قطع اللينة وتركها، واجتهادهم في صلاة العصر لما بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة، وأمرهم أن لا يُصلوا العصر إلا في بني قريظة: فصلى قوم في الطريق في الوقت، وقالوا: إنما أراد التعجل لا تفويت الصلاة، وأخرها قوم إلى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكا بظاهر لفظ العموم: فلم يُعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحدة من الطائفتين، وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر".

وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها: على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة، وغير ذلك، وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك، وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى، ولما سئل عن ذلك قال: تلك على ما قضينا، وهذه على ما نقضي، وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم.

وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت: مع بقاء الجماعة والألفة، وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعًا، ومنها ما المصيب في نفس الأمر واحد عند الجمهور أتباع السلف، والآخر مؤدٍّ لما وجب عليه بحسب قوة إدراكه وهل يقال له: مصيب أو مخطئ؟ فيه نزاع، ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم في نفس الأمر، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ فهذا النوع يشبه النوع الأول من وجه دون

Upload by : altawhedmag.com

وجه. أما وجه المخالفة فلأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الإقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والأمراء؛ فإنه ليس معصومًا من ذلك"... إلى أن قال: "فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء، إذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام؛ هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء، وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له، وهو الدين الأصلي الجامع، كما يثاب الأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به لا من شرعة رسوله ومنهاجه كما يُثاب كل نبي على طاعة الله في شرعه ومنهاجه". (مجموع الفتاوى ١٩/١٢٢).

عين السخط:

هؤلاء الوصاة على الناس لا ينظرون إلى الناس عامة بعين الرضا، وإنما عين السخط غالبة على أحكامهم حتى لو أعلنت انخلاعك من قول أخطأت فيه فلن تشفع لك توبتك عندهم، ولو قلت بمقالتهم وأنت لا تنتمي لهم لشككوا في نواياك، وهذه محنة قديمة عانى منها كبار أهل السنة والجماعة، وانظر إلى معاناة الإمام الشاطبي في مقدمة كتابه الاعتصام وهو يصف حاله مع أمثال هؤلاء فقال:

"وربما ألموا في تقبيح ما وجهت إليه وجهتي بما تشمئز منه القلوب، أو خرجوا بالنسبة إلى بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة؛

فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه كما يُعزى إلى بعض الناس، بسبب أني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الإمامة.

وتارة نسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم، بسبب أني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص؛ إذ لم يكن ذلك من شأن السلف في خطبهم، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين في أجزاء الخطب.

وتارة أضيف إليّ القول بجواز القيام على الأئمة، وما أضافوه إلا من عدم ذكري لهم في الخطبة، وذكرهم فيه محدث لم يكن عليه من تقدم.

وتارة حُمل عليّ التزام الحرج والتنطع في الدين، وانما حملهم على ذلك أني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه، وان كان شاذًا في المذهب الملتزم أو في غيره.

وتارة نُسبت إلى معاداة أولياء الله، وسبب ذلك أني عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة المنتصبين بزعمهم لهداية الخلق، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يتشبهوا بهم.

وتارة نُسبت إلى مخالفة السنة والجماعة، بناء منهم على أن الجماعة التي أمر باتباعها وهي الناجية ما عليه العموم، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.

وكذبوا عليّ في جميع ذلك، أو وهموا، والحمد لله على كل حال.

فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه؛ إذ حكى عن نفسه فقال: "عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما

Upload by : altawhedmag.com

من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقًا أو مخالفًا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله، والشهادة له، فإن كنت صدقت فيما يقول، وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمان؛ سمّاني موافقًا، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سمّاني مخالفًا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سمّاني خارجيًا، وإن قرأت عليه حديثًا في التوحيد، سمّاني مُشبّهًا، وإن كان في الرؤية؛ سمّاني سالميًا، وإن كان في الإيمان سمّاني مرجئًا، وإن كان في الأعمال، سمّاني قدريًا، وإن كان في المعرفة سمّاني كرّاميًا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر، سمّاني ناصبيًا، وإن كان في فضائل أهل البيت سمّاني رافضيًا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما، سمّاني ظاهريًا، وإن أجبت بغيرهما، سمّاني باطنيًا، وإن أجبت بتأويل، سمّاني أشعريًا، وإن جحدتهما، سمّاني معتزليًا، وإن كان في السنن مثل القراءة، سمّاني شفعويًا، وإن كان في القنوت سمّاني حنفيًا، وإن كان في القرآن، سمّاني حنبليًا، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار؛ إذ ليس في الحكم والحديث محاباة قالوا: طعن في تزكيتهم. ثم أعجب من ذلك أنهم يُسمونني فيما يقرءون عليّ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم، أسخطت الله تبارك وتعالى، ولن يغنوا عني من الله شيئًا. واني مستمسك بالكتاب والسنة، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو، وهو الغفور الرحيم.

هذا تمام الحكاية، فكأنه -رحمه الله- تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالمًا مشهورًا أو فاضلاً مذكورًا، إلا وقد نُبذ بهذه الأمور أو بعضها؛ لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك، حمل على صاحب السنة، أنه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله. (الاعتصام ١/٣٧، بتصرف يسير).

فلن تسلم من هؤلاء فقد اعتقدوا فيك معتقدًا وأنزلوك منزلاً لن تتقدم أو تتأخر عنه، فيا أيها السالك طريق الحق: لا تنشغل بمهاترات هؤلاء، والزم طريق التعلم والتعليم، وإياك أن تنشغل بهذا أو ذاك، فقد رأينا أهل العلم يسيرون على ضرب التعلم والتعليم، وقد انتفع بهم خلق، وظهرت في دعوتهم ثمار الحق، وتنكّب عن الطريق من ضاق فكره ووعيه وفارق الصف، وأعجب بنقده للكبار وهو غمر لم يتعلم ضبط الحرف، قال الألباني -رحمه الله- في بعض وصاياه للمتعجلين في الأحكام: "أنصح بهذا لكل إخواننا المشتغلين بهذا العلم، حتى لا يقعوا في مخالفة قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦). ولكي لا يصدق عليهم المثل المعروف: "تَزَبَّبَ قبل أن يتحصرم"! ولا يصيبهم ما جاء في بعض الحِكَم: "مَن استعجل الشيء قبل أوانه؛ ابتُلي بحرمانه". ذاكرًا مع هذا ما صح من قول بعض السلف: "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويُؤخذ من قوله ويُترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم". السلسلة الضعيفة (٤/٨).

هذا وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by : altawhedmag.com

فقه الصلاة على الكرسي

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الصلاة ركن الإسلام الثاني، وآخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته، واذا نظرنا في أبواب فقه المسلمين لرأينا باب الصلاة قد تصدّر وعظم وأربى على غيره من الأبواب، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه فقه الصلاة، فصلى بهم إمامًا وخاطبهم قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي". رواه البخاري.

وعلى هذا فواجب على كل مُصلٍّ متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في التعرُّف على كيفية صلاته ووصفها، وقد رأيت تراخيًا شديدًا من بعض المصلين خاصةً من أصحاب الأعذار، فيرخصون لأنفسهم صورًا وهيئاتٍ لا يستحقونها وهم أقدر على القيام بالعزيمة، فمن ذلك ما عمّت به البلوى في مساجدنا بانتشار المقاعد فرادى وجماعية في المساجد، وفي الجالسين عليها القادرُ على القيام أو الركوع أو السجود، لكن البعض يُقلّد بغير تحرٍّ ولا سؤال أهل العلم.

فلهذا أحببت أن أبيّن وجه المشروعية في هذا الصنيع، ومنذ أكثر من خمسة عشر عامًا كتبت بحثًا بعنوان "صفةُ صلاةِ المُصلّي على الكُرسي"، وأود أن أكتب ملخصًا حوله، ومن رام المزيد فليرجع إليه، وقد قسمته على مقالين.

Upload by : altawhedmag.com

الأول: في فقه الصلاة على الكرسي.

والمقال الثاني: في مخالفات يفعلها المصلي على الكرسي.

فأولا: بيان قواعد وأحكام تخص المصلي على الكرسي لا بد من معرفتها وهي:

القيام للفريضة فرض، لا يجوز الجلوس فيها للقادر.

القيام في الفرائض فرض بالإجماع، لا تصح الصلاة من القادر عليه إلا به. (المجموع ٣/٢٥٨).

قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن القيام في صلاة الفرض واجب على كل صحيح قادر عليه، منفردا كان أو إماما (تفسير القرطبي ٣/٢١٧، تحت آية (٢٣٨) البقرة).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: "صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب" (صحيح البخاري ١١١٧). وبوب عليه البخاري بقوله: باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب.

> **من عجز عن القيام صلى على قدر استطاعته، ولا ينتقل من هيئة مشروعة إلى غيرها إلا عند العجز عن الإتيان بها.**

قال ابن عبد البر: هذا يبين أن القيام لا يسقط فرضه إلا بعدم الاستطاعة، ثم كذلك القعود إذا لم يستطع ثم كذلك شيء فشيء يسقط عند عدم القدرة عليه حتى يصير إلى الإغماء فيسقط جميع ذلك، وهذا كله في الفرض لا في النافلة. (التمهيد ١/١٣٥).

فمن عجز عن القيام صلى على قدر استطاعته، ولا ينتقل من هيئة مشروعة إلى غيرها إلا عند العجز عن الإتيان بها.

كما في حديث عمران السابق، وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرسا فصرع عنه، فجحش شقه الأيمن، فصلى لنا صلاة وهو جالس. صحيح البخاري (٨٠٥)، ومسلم (٤١١).

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته وهو شاك، فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما، فأشار إليهم أن اجلسوا، فلما انصرف قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا..." صحيح البخاري (١١١٣)، ومسلم (٤١٢).

قال ابن المنذر: وأجمع أهل العلم على أن فرض من لا يطيق القيام أن يصلي جالسا، أو على قدر طاقته إن عجز عن الجلوس. (الأوسط ٤/٤٣١).

وقال الباجي: فخص بهذا الخبر من الآية من لم يستطع القيام، وبقيت الآية على عمومها في المستطيعين. (المنتقى ١/٣١٩).

ويرخص في النافلة الجلوس؛ لكن إن جلس مع القدرة فله نصف أجر القائم، ولبعض أهل العلم توجيه جيد؛ وذلك في حق المفترض، والذي به نوع من العجز ويمكنه القيام لو تحامل على نفسه؛

Upload by : altawhedmag.com

فهذا إن جلس فله نصف أجر القائم، وهذا يؤكد ترغيب الشريعة في القيام حتى مع العجز الهين، أو به نوع من المشقة الغير مانعة مطلقًا.

عنْ عمْران بْن حُصيْن قال سألْتُ النبي صلى الله عليه وسلم عنْ صلاة الرّجُل قاعدًا فقال:" منْ صلّى قائمًا فهُو أفْضل، ومنْ صلّى قاعدًا فلهُ نصْف أجْر القائم، ومنْ صلّى نائمًا فلهُ نصْف أجْر القاعد" صحيح البخاري (١١١٥).

وعنْ عبْد الله بْن عمْرو قال: حُدّثْتُ أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة الرّجُل قاعدًا نصْف الصّلاة ". قال فأتيْتُهُ فوجدْتُهُ يُصلّي جالسًا، فوضعْتُ يدي على رأسه فقال:" ما لكَ يا عبْد الله بْن عمْرو " قُلْتُ: حُدّثْتُ يا رسُول الله أنّكَ قُلْتَ:" صلاة الرّجُل قاعدًا على نصْف الصّلاة ". وأنْتَ تُصلّي قاعدًا قال:" أجلْ ولكنّي لسْتُ كأحد منْكُمْ"(صحيح مسلم (٧٣٥).

وشرط العجز أن يكون مؤثرًا؛ فيخشى إن قام زيادة مرضه، أو تأخر برئه، ولا يستطيع أن يقوم لأمر دنياه؛ فهذا يرخص له الجلوس.

ففي حديث عمران بن حصين وفيه: "صلّ قائمًا، فإنْ لمْ تسْتطعْ فقاعدًا...".

فدل هذا النص على أنه لا يُنتقل من القيام إلى القعود إلا بعد فقد الاستطاعة، فصلاته الفريضة قاعدًا مع القدرة على القيام يُبطل صلاته. قال النووي في المجموع ٢٥٨/٣: فالقيام في الفرائض فرض بالإجماع، لا تصح الصلاة من القادر عليه إلا به حتى قال أصحابنا: لو قال مسلم أنا أستحل القعود في الفريضة بلا عذر أو قال القيام في الفريضة ليس بفرض كفر إلا أن يكون قريب عهد بإسلام.

قال الإمام الشافعي: وكذلك لا يكون له أن يصلي قاعدًا إلا من مرض لا يقدر معه على القيام، وهو يقدر على القيام إلا في حال الخوف التي ذكرت، ولا يكون له بعذر غيره أن يصلي قاعدًا إلا من مرض لا يقدر على القيام، وذلك أن الفرض في المكتوبة استقبال القبلة، والصلاة قائمًا؛ فلا يجوز غير هذا إلا في المواضع التي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، ولا يكون شيء قياسًا عليه وتكون الأشياء كلها مردودة إلى أصولها والرخص لا يتعدى بها مواضعها. ثم قال: وإذا خوطب بالفرائض من أطاقها فإذا كان المرء مطيقًا للقيام في الصلاة لم يجزه إلا هو (الأم (٢/ ٥٠) باب: صلاة العذر).

قلت: والناظر في كلام العلماء يلاحظ أنهم لم يعتبروا أدنى مشقة أو تعب مسقط لفرضية القيام، ومن هنا نلحظ تهاونا كبيرا من بعض المصلين، فربما تراه قائمًا في عمل الدنيا الساعات الطوال، فإذا دخل المسجد بحث عن أقرب مقعد فيه.

نلحظ تهاونا كبيرا من بعض المصلين، فربما تراه قائمًا في عمل الدنيا الساعات الطوال، فإذا دخل المسجد بحث عن أقرب مقعد فيه.

Upload by : altawhedmag.com

ومن هنا قال ميمون بن مهران عندما سُئل: ما علامة ما يصلي المريض قاعدًا؟ قال: "إذا كان لا يستطيع أن يقوم لدنياه فليصل قاعدًا" أخرجه عبد الرزاق (٤١٢٦)، وابن أبي شيبة ٢/٤٩٠٤٨. واسناده صحيح.

وصفة جلوس العاجز عن القيام: أنه يشرع له أن يصلي متربعًا، أو يجلس مفترشًا أو متوركا كهيئة جلوسه في الصلاة: فإن عجز صلى محتبيًا -والاحتباء: أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليه. فعن عائشة قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي متربعًا. أخرجه النسائي في سننه (٣/٢٢٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٧٨- ١٢٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٥١٢)، وللحديث شواهد يتقوى بها.

وصفة القاعد متربعًا: أن يجعل باطن قدمه اليمنى تحت الفخذ اليسرى، وباطن اليسرى تحت اليمنى مطمئنًا، وكفيه على ركبتيه، مفرقًا أنامله كالراكع. (سبل السلام ٢/٢٩٠).

> **صفة جلوس العاجز عن القيام: أنه يشرع له أن يصلي متربعًا، أو يجلس مفترشًا أو متوركا كهيئة جلوسه في الصلاة.**

قال ابن المنذر: وإذا كان كذلك كان للمريض أن يصلي فيكون جلوسه كما سهل ذلك عليه، إن شاء صلى متربعًا، وإن شاء محتبيًا، وإن شاء جلس كجلوسه بين السجدتين. كل ذلك قد روي عن المتقدمين (الأوسط ٤/٤٣٤).

فإذا صلى قاعدًا ثم صح أو وجد خفة: تمم ما بقي. وهذه العبارة: هي ترجمة البخاري على الحديث.

فعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسًا فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته نحوٌ من ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم، ثم يركع ثم يسجد، يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك... (أخرجه البخاري (١١١٩)، ومسلم (٧٣١).

فإذا زال العذر الذي من أجله صلى قاعدًا: لزمه القيام كلما وجد خفة، فالتيسير مناط بوجود الرخصة، فإن زالت وجبت العزيمة، وجماع ذلك قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " (أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٣٣٧).

فإن شق كل ذلك عليه فله أن يجلس على دكان أو كرسي، وقد ذكر محمد بن نصر أنه كان لأبي برزة دكان يجلس عليه ويدلي رجليه ويصلي (مختصر قيام الليل (٢٠٦).

وأما هيئة الركوع والسجود للجالس: فإنه يومئ برأسه، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه. أما الإيماء فقد

Upload by : altawhedmag.com

وردت فيه أحاديث صريحة في حق المفترض، وأخرى يستدل بها وهي في حق المتنفل، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أنه كان يصلي النافلة على راحلته يومئ برأسه قبل أي وجه توجه " (أخرجه البخاري (١٠٩٦)، ومسلم (٧٠٠).

وعن طارق بن شهاب عن ابن عمر قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه مريضا، وأنا معه، فدخل عليه، وهو يصلي على عود، فوضع جبهته على العود، فأومأ إليه فطرح العود، وأخذ وسادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعها عنك. يعني الوسادة - إن استطعت أن تسجد على الأرض، وإلا فأومئ إيماء واجعل سجودك أخفض من ركوعك" أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٢٦٩- برقم: ١٣٠٨٢)، صحيح بطرقه وشواهده.

قال ابن المنذر: على المريض أن يصلي على قدر طاقته.

> على المريض أن يصلي على قدر طاقته، فإذا صلى قاعدا وهو عاجز عن القيام وأمكنه الركوع والسجود، لم يجزه إلا أن يأتي بذلك على قدر ما يمكنه.

فإذا صلى قاعدًا وهو عاجز عن القيام وأمكنه الركوع والسجود، لم يجزه إلا أن يأتي بذلك على قدر ما يمكنه، فإن لم يقدر على السجود، أومأ برأسه يبلغ بالإيماء ما أمكنه، فإذا بلغ من الإيماء ما أمكنه، فرفع إليه عودًا أو مخدة فرأى في جبهته بعد بلوغه من الإيماء بمقدار إمكانه فلا شيء عليه ويجزيه؛ لأنه قد أتى من الإيماء قدر طاقته، فليس يضره ملاقاة العود أو المخدة، ومما مسته جبهته في هذا الحال، وإن قصر عما يمكنه من الإيماء لما رفع إلى جبهته من العود أو غيره لم يجزه ويجزيه السجود على المخدة، وإن أمكنه السجود على الأرض فأكره له ذلك.

وأجعل سجوده على المخدة بمنزلة سجوده على ربوة من الأرض، ويجعل إذا كان سجوده وركوعه إيماء السجود أخفض من الركوع. الأوسط (٤/٣٨٢).

وأما كيفية استواء القاعد مع الصف في الجماعة، فقد وردت أحاديث كثيرة تأمر بمساواة الصف وتلاصقه، واكتماله الأول فالأول، وأحاديث أخرى تتوعد من يخالف هذه السنة ويحدث في الصف فروجا. فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ" (البخاري (٧٢٣) ومسلم (٤٣٣).

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ ". وفي رواية: كان رسول الله يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أقيموا صفوفكم فإني

Upload by : altawhedmag.com

أراكم من وراء ظهري". وكان أحدنا يُلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه البخاري (٧٢٥). وزاد معمر في روايته: ولو فعلت ذلك بأحدهم اليوم لنفر كأنه بغل شموس، هي النفور من الدواب الذي لا يستقر ولا يسكن لشغبه وحدته. انظر النهاية ٥٠١/٢. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١): وسنده صحيح أيضًا على شرط الشيخين وعزاها الحافظ لسعيد بن منصور، والإسماعيلي.

بالنظر في الأحاديث السابقة نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حثَّ على التسوية، ووضع لها ضوابط وعلامات؛ ولأن الناس يتباينون في الخَلْق لم يجعلها على صفة واحدة، فباستقراء الروايات نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المساواة بالآتي: المناكب، الأقدام، الكعوب، الركب، الأعناق، الصدور؛

> **عند التأمل في أحاديث السنة نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تسوية الصفوف، ووضع لها ضوابط وعلامات.**

فالصحيح يفعل ما يقدر عليه من المساواة بهذه، والاختلاف طولًا وقصرًا معفو عنه إذا تحقق ببعضه، أما الجالس فأرى فيه تفصيلًا، وقد جهدت لأجد كلامًا لأهل العلم في المسألة فلم أظفر به.

ولكني أخرّج المسألة على ضوء ما تقدم فأقول:

المريض لا يخلو من حالات:

١- مريض قادر على القيام، ويعجز عن الركوع والسجود، فهذا وجب عليه القيام؛ فيستوي في الصف على قدميه، والمحاذاة تكون كمحاذاة الصحيح لا يتقدم ولا يتأخر. وعند عجزه عن الركوع والسجود يومئ، وهنا لا عمل لقدميه، فالمحاذاة لا تكون بالأقدام، وانما يحاذي بالمنكب والعنق على نفس استقامة المجاورين له، فعند القيام يساوي بقدميه، وعند الإيماء بالركوع والسجود يجعل منكبه مساوٍ لمنكب أخيه في الصلاة، كي لا يتقدم عن الصف أو يتأخر.

٢- مريض يعجز عن القيام في صلاته كلها؛ فإنه إذا جلس على الكرسي؛ فإنه لا يساوي بالقدم كما تقدم، وانما تكون المساواة بالأكتاف أو المناكب والأعناق، فبعض المصلين إذا جلس على الكرسي جعل المحاذاة بالقدم مع أنه لا يستعمل قدميه في صلاته؛ فسقطت المساواة بها، فالذي يلزمه أن يحاذي بمنكبيه؛ لأنه لو حاذى بقدميه تأخر عن الصف، ولم يتحقق سد الخلل في الصلاة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

مخالفات في هيئة الصلاة على الكرسي

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

استشرى في مساجدنا ظاهرة الكراسي في آخر المسجد، بل وبالغت بعض المساجد فبنوا مقصورة، وجعلوا لها عدة دكك متساوية، وعلى صفوف متباعدة في آخر المسجد، وهذه الهيئة غير مشروعة ولا تصح، وفيها جملة من المخالفات ومنها:

١- مخالف لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الاصطفاف، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ". صحيح البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣).

والمُصلي خلف الصفوف لم يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر للوجوب، فترك هذا المصلي الصف المقدم، وصلى إما منفردًا وحده خلفهم، أو في صف ناءٍ عن الصفوف المتقدمة؛ فلم يكن متبعًا للهدي النبوي في فعله.

٢- يُخشى عليه من وقوع البغضاء والعداوة بينه وبين المصلين، أو تبديل خلقته فيتحول وجهه إلى قفاه. فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سمعت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: "لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ". صحيح البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦).

ولا شك أن المصلي خلف الصفوف قد خالف الأمر بالتسوية، فأنشأ صفًا متأخرًا ونأى به عن المصلين، ولا بد أن تقع العداوة والشقاق بينه وبينهم؛ لما بينهم من التباعد في الأجساد.

قال ابن دقيق العيد: قَوْلُهُ: "أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ"؛ مَعْنَاهُ: إنْ لَمْ تُسَوُّوا؛ لِأَنَّهُ قَابَلَ بَيْنَ التَّسْوِيَةِ وَبَيْنَهُ، أَيْ الْوَاقِعُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إمَّا التَّسْوِيَةُ، أَوْ الْمُخَالَفَةُ. (إحكام الأحكام: ١/١٣٦).

Upload by : altawhedmag.com

وقال الحافظ: قوله: "أوْ لَيُخالِفَنَّ اللَّه بيْنَ وُجوهِكُمْ"؛ أي: إن لم تسووا، والمراد: بتسوية الصفوف اعتدال القائمين بها على سمت واحد، أو يراد بها سد الخلل الذي في الصف. (الفتح: ٢/٢٤٢-٢٤٣).

٣- خالف هدي الملائكة في صفها عند ربها، وقد أمرنا بالاقتداء بهم.

فعنْ جابر بْن سَمُرة قال: خرج علينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما لي أراكُمْ رافعي أيْديكُمْ؛ كأنَّها أذْنابُ خيْل شُمْس اسْكُنُوا في الصَّلاة". قال ثُمَّ خرج علينا فرآنا حلقًا فقال "ما لي أراكُمْ عزين". قال ثُمَّ خرج علينا فقال: "ألا تصُفُّون كما تصُفُّ الملائكةُ عنْد ربِّها". فقُلْنا يا رسُول الله وكيْف تصُفُّ الملائكةُ عنْد ربِّها قال: "يُتمُّون الصُّفوف الأوُل ويتراصُّون في الصَّفِّ" (صحيح مسلم: ٤٣٠).

فما أعظم هذا التفرق، يدخل أحدهم المسجد فلا يبادر لإتمام الصفوف الأول، وانما يسرع لمؤخرة المسجد لحجز مقعد في آخر المسجد، وكأن الناس صاروا فريقين أحدهما في أوله، والآخر في مؤخره.

٤-بقدر ما يتأخر عن الصفوف بقدر ما يتأخر عن رحمة الله وفضله.

عنْ أبي سعيد الخُدْريِّ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصْحابه تأخُرًا فقال لهُمْ: "تقدَّمُوا فائْتمُّوا بي، وليأْتمَّ بكُمْ منْ بعْدكُمْ، لا يزال قوْمٌ يتأخَّرُون حتَّى يُؤخِّرهُمُ الله". (صحيح مسلم ٤٣٨).

إن هذا التأخر لم يكن على نحو تأخر أهل زماننا. لقد كان تأخرًا يسيرًا عن الصف الأول، أما اليوم فبينهم وبين الصفوف الأول مفاوز ومسافات ينقطع دونها صوت الإمام عنهم. فكان أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك حفاظًا على وحدة الجماعة، وتقارب الصفوف والالتئام بين المصلين.

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال قوْم يتأخَّرُون -أي: عنْ الصُّفوف الأوُل- حتَّى يُؤخِّرهُمْ- الله تعالى عنْ رحْمته، أوْ عظيم فضْله، ورفْع المنْزلة، وعنْ العلْم، ونحْو ذلك. (شرح النووي ٤/١١٩).

وقال القرطبي: قيل هذا في المنافقين، ويحتمل أن يراد به أن يُؤخِّرهُمُ الله عنْ رُتْبة العُلماء المأْخوذ عنْهُمْ، أوْ عنْ رُتْبة السَّابقين (المفهم ٤/١٥٠).

٥- الصف المؤخر شر صفوف الرجال.

للصفوف المقدمة في الصلاة فضيلة باهرة، فمن ذلك:

١-حديث أبي هُرَيْرة أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لوْ يعْلمُ النَّاس ما في النِّداء والصَّف الأوَّل، ثُمَّ لمْ يجدُوا إلاَّ أنْ يسْتهمُوا عليْه لاسْتهمُوا، ولوْ يعْلمُون ما في التَّهْجير لاسْتبقُوا إليْه، ولوْ يعْلمُون ما في العتْمة والصُّبْح لأتوْهُما ولوْ حبْوا" (أخرجه البخاري (٧٢٠)، ومسلم (٤٣٧).

قال النووي: لوْ يعْلمُون ما في الصَّف الأوَّل منْ الفضيلة نحْو ما سبق، وجاءُوا إليْه دفْعة واحدة وضاق عنْهُمْ، ثُمَّ لمْ يسْمح بعْضهمْ لبعْض به، لاقْترعُوا عليْه. (شرح النووي ٤/١١٨).

وأشار الحافظ إلى فوائد هامة للصف الأول فقال: في الحض على الصف الأول المسارعة إلى خلاص الذمة، والسبق لدخول المسجد، والقرب من الإمام، واستماع قراءته، والتعلم منه، والفتح عليه، والتبليغ عنه، والسلامة من اختراق المارة بين يديه، وسلامة البال من رؤية من يكون قدامه، وسلامة موضع سجوده من

Upload by : altawhedmag.com

أذيال المصلين. (فتح الباري ٢/٢٤٤).

فتوى هامة لشيخ الإسلام:

عن أقوام يبتدرون السواري قبل الناس، وقبل تكميل الصفوف ويتخذون لهم مواضع دون الصف، فهل يجوز التأخر عن الصف الأول؟

فأجاب:..... وثبت عنه في الصحيح: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها" وأمثال ذلك من السنن التي ينبغي فيها للمصلين أن يتموا الصف الأول ثم الثاني. فمن جاء أول الناس، وصف في غير الأول فقد خالف الشريعة، وإذا ضم إلى ذلك إساءة الصلاة، أو فضول الكلام، أو مكروهه، أو محرمه ونحو ذلك مما يصان المسجد عنه، فقد ترك تعظيم الشرائع، وخرج عن الحدود المشروعة من طاعة الله، وإن لم يعتقد نقص ما فعله، ويلتزم اتباع أمر الله، استحق العقوبة البليغة التي تحمله وأمثاله على أداء ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، والله أعلم. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/٢٦١).

٢-الله وملائكته يصلون على الصف الأول.

عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول: "لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول" متفق عليه.

٦- يُخشى على صلاة المنفرد خلف الصف البطلان.

عن وابصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا صلى وحده خلف الصف فأمره أن يعيد صلاته. (صحيح بطرقه وشواهده: أخرجه أحمد (٤/٢٨)، والترمذي (٢٣١)، وأبو داود (٦٨٢)، وابن خزيمة: ١٥٧٠)

وعن علي بن شيبان أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فصلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فلمح بمؤخر عينيه إلى رجل لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر المسلمين، إنه لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود". قال: ورأى رجلا يصلي خلف الصف فوقف حتى انصرف الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقبل صلاتك، فلا صلاة لرجل فرد خلف الصف". (صحيح: أخرجه أحمد (٤/٢٣)، وابن ماجه (٨٧١، ١٠٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٦٩).

وقد اختلف أهل العلم في حكم من صلى منفردًا خلف الصف، فذهب فريق إلى بطلان صلاته، ودليلهم ما تقدم من الحديث، وذهب آخرون إلى الكراهة ولم يبطلوا صلاته لأدلة، منها: حديث أبي بكرة أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "زادك الله حرصا ولا تعد" (صحيح البخاري (٧٨٣).

قال ابن المنذر: اختلف أهل العلم فيما يجب على من صلى خلف الصف وحده فقالت طائفة: لا يجزئه، هذا قول النخعي، والحكم، والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة.

وقالت طائفة: صلاة الفرد في الصف وحده جائزة.

Upload by : altawhedmag.com

وممن رأى ذلك جائزًا الحسن البصري، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي.

قال ابن المنذر: صلاة الفرد خلف الصف باطلة؛ لثبوت خبر وابصة، وخبر علي بن الجعد بن شيبان. (الأوسط ٢٠٧/٤).

قلت: وقد علق الشافعي القول به على صحة الحديث، وقد صح، ولكن له توجيه وهو: أنه لا صلاة لمنفرد خلف الصف والصفوف قبله بها الفُرج؛ فإن كان الصف كاملا ولم يجد بُدًّا من الوقوف خلفهم فليُصَل ولا شيء عليه؛ لأن الواجب إذا تعذر القيام به سقط، وهو هنا كذلك.

فإذا كان الأمر على هذا الحال فكيف يتساهل العباد في مثل هذه القضية المصيرية، والتي يتوقف عليها صحة الصلاة أو بطلانها، فهو متردد بين أمرين أحلاهما مُرّ، إما أن تكون صلاته باطلة أو مكروهة.

٧- التشبه بالنصارى كما هو الحال في كنائسهم.

من عادات النصارى في الكنيسة أنهم يضعون المقاعد ويرصونها، ويتعبدون عليها جلوسًا وربما قيامًا.

وأما عند المسلمين فالصلاة لها شروط سابقة عليها من الطهارة واستقبال القبلة وغير ذلك، ثم الصلاة عندنا هيئات، فيها القيام والركوع والسجود، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ولم يشرع ترك القيام ولا السجود إلا عند العجز في صلاة الفرض، فلا ينبغي أن تُحوّل مساجدنا من الصلاة على الأرض إلى نصب المقاعد المتلاصقة لذوي الأعذار؛ حتى لا يقع جزء كبير من المصلين في المشابهة، خاصة أنه في بعض المساجد نطرد الفتيان من المسجد، ولا يبقى فيها إلا المرضى والطاعنين في العمر؛ فلو رخصنا لهم ذلك لتحولت صورة المساجد المعتادة إلى صورة مشابهة لما عليه النصارى.

٨-يلي الإمام أفضل الناس، والمتأخر من أهل الفضل فسح المجال لمن دونه بالتقدم.

أهل العلم والفضل مقدمون في كل شيء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)، والسنة أن يقف أهل الفضل والعلم وحفظة كتاب الله خلف الإمام مباشرة لعلل باهرة، وما يحدث في بعض مساجدنا أننا نرى مقعدًا من أهل الذكر والقرآن يجلس خلف الصفوف، فربما اعتقد بعض العوام أن قعوده في الصف يقطعه، فليتعلم الجاهل وليتنبه الغافل لهذه السنة. قال أبو مسعود: قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ مناكبنا في الصلاة ويقول: "استَوُوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشدُّ اختلافًا. (صحيح مسلم ٤٣٢).

قال أحمد: يلي الإمام الشيوخ وأهل القرآن وتؤخر الصبيان والغلمان. المغني ٤٦/٢.

فهذه جملة من المخالفات التي رأيتها حادثة في مساجدنا والتي يجب على الأئمة وأهل العلم أن يبينوا أمرها للمصلين فهي أمانة ودين أمرنا الله بتبليغه.

أسأل الله أن يصلح مساجدنا من اللغو والعبث والبدع وأن يجعلنا هداة مهتدين. وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

أَمِنَ الإيمانِ حُبُّ الأَوْطانِ؟!

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الغلو في كل شيء مذموم: الغلو في الحب مذموم، وفي الكره مذموم، ومن لطيف ما صنعه إمام المحدثين الإمام البخاري أنه ختم كتابه الأدب المفرد بهذا الأثر، قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا وَلَا بُغْضُكَ تَلَفًا". فقلت (زيد بن أسلم) كَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: "إِذَا أَحْبَبْتَ كَلِفْتَ كَلَفَ الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف" (الأدب المفرد: ١٣٢٢).

ومن هذا الباب ما يُروَّج له في المقالات، وعلى المنابر، وعلى كل وسائل التواصل؛ من دعوة حبّ الوطن على منهج القوميين والحداثيين، وهي دعوة زائفة؛ لأنها تعتمد على حبّ الوطن من مفهومهم وعلى طريقتهم القاصرة؛ على وطن حدّده عدوّ غاصب أو محتلّ غادر، وأو كاره للإسلام معاند؛ لأن قضية الأوطان لها في الإسلام مدلولات واسعة وقيود واضحة.

ومن نتائج هذه الدعوة: أن تفرّقت كلمة المسلمين ولم يجتمعوا على شيء تجاه عدوهم، واكتفت كل أمة بما لديها من مُقدّرات حياتها، ووسائل نجاتها، ولو وقع اعتداء على دولة مجاورة تربطها بها صلة وأنساب وتاريخ وحضارات لم تَهُبّ لنَجْدتها، والسبب هو خط وهمي، وضعه معتدٍ آمَن به كل غبي.

فقضية الانتماء للوطن كثير من الناس فيها على طرفين: غالٍ ومُفرِّط، والإسلام هو دين الوسطية في كل شيء؛ نهى عن الغلو في حب الأوطان وأمر بالعمل والاقتصاد في محبته، ففريق من الناس عقد ولاءه وبراءه على حب الوطن والعمل له، وآخرون باعوا أوطانهم لعدوهم وخانوا بلادهم وأفسدوا في الأرض بالتخريب والإرهاب في البلاد وبين العباد. ومنهج الإسلام فيه الاعتدال في كل الأحكام، فالأصل أن

Upload by : altawhedmag.com

يكون محل الحب والبغض لله والولاء والبراء له وحده. وهذا لا ينفي ميل الإنسان للمكان الذي نشأ فيه وسجد لله فيه وتعرف على الله بآياته وخلقه فيه. فهذا حُبّ غريزي فطري لا يُلام الإنسان عليه. ولم يمنع الإسلام منه.

أما الدعوة للمواطنة والوطنية التي يُروّج لها. فالوطنية في حقيقتها دعوة برّاقة. وخدعة كبيرة تستثير في النفوس عاطفة حبّ الوطن في البدايات الأولى. وفي نهايتها يُراد بها الانسلاخ من رابطة الدين. والاكتفاء بها في كل وطن له حدود جغرافية. وموالاة أهله على حبه بغض النظر عن أي اعتبار.

وهي نسبة إلى الوطن. أي: الأرض التي يعيش عليها مجموعة من الناس. وقد ظهرت بعد ظهور القومية كرافد من روافد القومية. يقصد بها أن يقدّس كل إنسان وطنه فقط. وأن يتعصّب له بالحق والباطل. وهي بهذا المفهوم لا يقبلها الإسلام ولا يقرُّها.

ومن هنا نجد أن القومية والوطنية يمدّ بعضها بعضًا؛ لتكونا معًا رافدًا من روافد الجاهلية. والنفرة عن الدين. والالتقاء على حب الوطن. بغضّ النظر عن اختلاف ديانة الموجودين عليها. فالوطنية أمُّ الجميع: لأن الوطنية توجب أن يتعايش المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي وغيرهم على حدٍّ سواء.

كما قال شاعرهم:

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجّدها قلبي ويدعو لها فمي

وقوله:

بلادك قدسها على كل ملة
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

وقول الآخر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

حب الوطن في الإسلام

ورد في الباب حديث صريح في المسألة. لكنه لا يصح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلفظ: "حب الوطن من الإيمان" قال الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٣٦): موضوع. كما قال الصغاني (ص ٧) وغيره.

ومعناه غير مستقيم: إذ إن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه. كل ذلك غريزي في الإنسان لا يُمدَح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان. ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!

وقال العجلوني في كشف الخفاء: الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه أن يحمل على أن المراد بالوطن الجنة. فإنها المسكن الأول لأبينا آدم على خلاف فيه أنه خلق فيها أو أدخل بعدما تكمل وأتم. أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة العالم. أو الرجوع إلى الله تعالى على طريقة الصوفية. فإنه المبدأ والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢). أو المراد به الوطن المتعارف ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه. أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه. ثم التحقيق أنه لا يلزم من كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقًا. بل يكفي غالبًا. ألا ترى إلى حديث: "حسن العهد من الإيمان". و"حبّ العرب من الإيمان". مع أنهما يوجدان في أهل الكفران.

ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها ولا يخرج الإنسان من وطنه إلا إذا اضطرته أمور للخروج منه؛ مثل خروج إبراهيم ولوط عليها السلام؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾

Upload by : altawhedmag.com

﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٦٨- ٧١).

أو مثل خروج موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٠- ٢١).

أو مثل خروج يعقوب عليه السلام وأولاده من فلسطين إلى مصر للانضمام إلى يوسف عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩).

ولما كان الخروج من الوطن قاسيًا على النفس صعبًا عليها؛ فقد كان فضائل المهاجرين من الصحابة أنهم ضحوا بأوطانهم في سبيل الله؛ فللمهاجرين على الأنصار أفضلية ترك الوطن؛ مما يدل على أن ترك الوطن ليس بالأمر السهل على النفس، وقد مدحهم الله سبحانه على ذلك فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر: ٨).

موقف الإسلام من حب الوطن

الإسلام وإن كان لا يمنع حُبَّ الشخص لوطنه، لكنه يوجب ملاحظة أمور لا بُدَّ أن تكون في حسبان المسلم، وأن يلاحظها بدقة فلا يوالي ويعادي من أجل الوطن، بل يجعل الولاء أولًا لله تعالى؛ عليه يوالي وعليه يعادي، فلا يقدّم محبة الوطن أو أهل الوطن على محبة الله تعالى ومحبة من يحبه عز وجل، كذلك يجب أن لا يكون حب الوطن ينشأ عن عصبية جاهلية أو على طريقة الجاهلين: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، بمعنى الوقوف إلى جانبه سواء كان على حق أو على باطل بحجّة أنه أخاه في الوطن، بل عليه أن يراعي الأخوة الإسلامية قبل أخوة الوطن، فإن أخوة العقيدة أثبت وأنفع من أخوة الوطن على طريقة خاطئة.

وكل محبة في الله تبقى
على الحالين من فرج وضيق
وكل محبّة فيما عداه
فكالحلفاء في لهب الحريق

والمسلمون ما ضعفوا وما استكانوا إلا يوم قدّموا الوطنية، وافتخر كل أهل وطن بوطنهم، ولم يهتم بعضهم بالبعض الآخر، فكان الجميع لُقْمَةً سائغة لأعدائهم، فانفردوا بإذلال أهل كل وطن كما هو الوضع الآن، وانتشرت مع الأسف دعوات جاهلية صار يردّدها الكبير والصغير والمرأة والرجل، وهو شعار التضحية في سبيل الوطن، أو بذل الدم من أجل تراب الوطن، ونحو ذلك من الكلمات التي أثمرت التخاذل حتّى عن الدفاع الجادّ عن أوطان المسلمين وأعراضهم نصرة المظلومين وارجاع الحق لأهله.

إن دعاة الوطنية لم يقفوا بها عند حدٍّ فقد قدّسوا الوطنية إلى حدّ العبادة من دون الله تعالى، وأحلوها محل الدين، وصاروا لا يدعون إلّا إلى تقديسها، ونسيان كل أهل وطن ممّن عداهم من أوطان المسلمين الأخرى، ونشأ عن تلك الدعوات الفخر والخيلاء والاستكبار بغير الحق والتعالي والغطرسة الكاذبة، بل وركن أهل كل وطن على قومهم في وطنهم في كل شيء حتى في الانتصار على الأعداء، فقد نسوا أن النصر من عند الله تعالى، فصاروا يمتدحون بأن الوطن سيمنحهم الشجاعة والنصر

Upload by : altawhedmag.com

والعيش الكريم، وأنَّ وطن كل طائفة سيصبح مقبرة للغزاة والطامعين، ولكنها جعجعة ولا ترى طحنًا وعنترة جوفاء فضحتها الوقائع القاتمة.

وقد بلغ من تقديس الأوطان عند دعاة الوطنية الجاهلية أن يطلبوا إلى كل شخص أن يقدّس وطنه على كل الملل والأديان، وأن يضحي بكل ما لديه لوطنه.

وإذا وصل الإنسان في حب وطنه إلى هذا الحد فماذا سيبقى لحب الله؟! فالأوطان أصبحت وكأنها أوثان تُعبَد من دون الله تعالى، وكل صاحب وطن يدّعي أن وطنه هو أفضل الأوطان، وتربته أفضل تربة، وأنه وطن معطاء يكفي من تمسك بحبّه كل مكروه، ويفتخر برجاله وبعطائهم اللامحدود -هكذا-. في المقابل لا بُدَّ أن يحتقر البلدان الأخرى وجهود الرجال الآخرين من بلدان المسلمين ورجالاته.

فلا حرج في دين الوطنية أن يفتخر الشخص برجال وطنه، ويقدم حبهم على من سواهم، حتى وإن كان أولئك غير مسلمين. فالوطنية دين الجميع. ومعلوم أن هذه المبالغة لا يقرّها الإسلام الذي يدعو أتباعه إلى أن ينصهروا كلهم في بوتقة الإسلام، ويدعو أتباعه لأنْ يكونوا في هذه الأرض كأنهم جسم واحد وفي وطن واحد، ويوجب على كل مسلم أن يدافع عن كل شبر من أوطان المسلمين، وأن يغار عليها حتّى لو أدّى ذلك إلى قتله، فإنه يكون شهيدًا مقاتلًا في سبيل الله تعالى.

ولهذا من عاش في وطن لا يستطيع أن يعبد فيه ربه ولا يقيم دينه فقد وجب عليه تركه والسفر إلى وطن آخر يلم فيه شعثه، ويتعبد فيه لربه، وهذا حكم ثابت من أحكام الإسلام، وقد أمر الله تعالى عباده بالهجرة من وطن الكفر إلى دار الإيمان؛ تحقيقًا للطاعة ودفعًا للعذاب؛ فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧- ٩٩).

قال السعدي: وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦)؛ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع. وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر.

وهذا المقال جزء من بحث لي كبير لم يُطبَع، يسر الله طباعته.

اللهم احفظ بلاد المسلمين واصرف عنهم كيد الكائدين واجمع كلمتهم على كلمة التوحيد. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

الإمام دعلج ونقد المنهج الأعوج

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمنذ عقدين من الزمان جردت كتاب سير أعلام النبلاء عدة مرات، واستوقفتني عدة آثار ومواقف للسلف ظهر لي منها فضلهم وسبقهم، وعلو منزلتهم وشرفهم، وعلمت حينها أن العلماء كانوا يتناصحون فيما بينهم، ويتعاونون في شد أزر بعضهم، ويسدّون خلّة ضعيفهم، وينفقون على فقيرهم، ولا يتلمسون عثرات إخوانهم، فالرفق شعارهم، وجبْر العجز سبيلهم، والعفو عن الهنات منهاجهم، وحمل المواقف وإن بدت في الظاهر قبيحة على خير محمل هديهم.

ومن هذه المواقف ما وقع مع الإمام: دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن أبو محمد السجستاني، وكان من ذوي اليسار، وأحد المشهورين بالبر والإفضال، وله صدقات جارية ووقوف محبسة على أهل الحديث ببغداد، ومكة، وسجستان.

وكان أبو الحسن الدارقطني هو الناظر في أصوله، والمصنف له كتبه، سُئل أبو الحسن الدارقطني عن دعلج بن أحمد، فقال: كان ثقة مأمونًا، وذكر له قصة في أمانته وفضله ونبله، قال: حدثني أبو القاسم الأزهري، عن أبي عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: أدخلني دعلج إلى داره، وأراني بدرًا من المال معبأة في منزله، وقال لي: يا أبا عمر، خذ من هذه ما شئت، فشكرتُ له، وقلت: أنا في كفاية وغنيَ عنها، فلا حاجة لي فيها.

حكى لي القاضي أبو العلاء الواسطي عن دعلج أنه سئل عن سبب مفارقته مكة بعد أن سكنها، فقال: خرجت ليلة من المسجد، فتقدم ثلاثة من الأعراب، فقالوا: أخ لك من أهل خراسان قتل أخانا، فنحن نقتلك به.

فقلت: اتقوا الله فإن خراسان ليس بمدينة واحدة فلم أزل أداريهم إلى أن اجتمع الناس وخلوا عني، فكان هذا سبب انتقالي إلى بغداد، وكان يقول: ليس في الدنيا مثل داري، وذاك أنه ليس في الدنيا

Upload by : altawhedmag.com

مثل بَغْداد، وَلا ببَغْداد مثل القطيعة، وَلا في القطيعة مثل درب أبي خلف، وليس في الدرب مثل داري؛ حَدَّثني أَبو بَكْر مُحَمَّد بْن عَليّ بْن عَبْد الله الحداد، وكان من أَهْل الدين وَالقرآن وَالصلاح، عَنْ شيخ سماه، فذهب عني حفظ اسمه، قال: حضرت يوم جمعة مسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار، ظاهر الخشوع، دائم الصلاة، لم يزل يتنفل مذ دخل المسجد إلى قرب قيام الصلاة ثُمَّ جلس، قَالَ: فعلتني هيبته وَدخل قلبي محبته، ثُمَّ أقيمت الصلاة فلم يصل مَعَ الناس الجمعة، فكبُر عليّ ذلك من أمره، وَتعجبت من حاله، وَغاظني فعله.

فلما قُضيت الصلاة تقدمت إليه، وَقلت له: أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك! أطلت النافلة وَأحسنتها وَتركت الفريضة وَضيَّعتها؟ فَقَالَ: يا هذا إن لي عذرًا وَبي علة منعتني عَن الصلاة، قلت: وَما هي، فَقَالَ: أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثُمَّ حضرت اليوم الجامع للصلاة، فقبل أن تُقام التفت فرأيت صاحبي الَّذي له الدَّيْن عليّ وَرائي، فمن خوفه أحدثت في ثيابي فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت عليَّ وكتمت أمري، قَالَ: فقلت: وَمن الَّذي له عليك الدين؟ قَالَ: دعلج بْن أَحْمَد.

قَالَ: وَكَانَ إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلَّى وَهُوَ لا يعرفه فسمع هذا القول وَمضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة، فَقَالَ له دعلج: امض إلى الرجل وَاحمله إلى الحمام وَاطرح عَلَيْه خلعة من ثيابي، وَأجلسه في منزلي حَتَّى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر، فأكل هو وَالرجل ثُمَّ أخرج حسابه فنظر فيه وَإذا له عَلَيْه خمسة آلاف درهم، فَقَالَ له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أَوْ نسي لك نقده، فَقَالَ الرجل: لا فضرب دعلج على حسابه وَكتب تحته علامة الوفاء، ثُمَّ أحضر الميزان وَوزن خمسة آلاف درهم وَقَالَ له: أما الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وَبينك فيه، وَأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف الدرهم، وَتجعلنا في حلّ من الروعة الَّتي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع. (سير أعلام النبلاء (١٦/٣٠)، تاريخ بغداد (٩/٣٦٦).

فانظر -رحمك الله- إلى هذا الموقف النبيل، إنهم لم يتصيدوا هذه الزلة ولم ينشروها بين الناس، مع أن قبح المنظر في الظاهر كبير والعذر فيه غير معقول، ومع ذلك تنزهوا عن الوقوع فيه والتمسوا له المعاذير، بل واعتذروا له عما وقع له من الخوف منهم وأقالوا عثرته، وهذا من تمام الاتباع وهو منهج العدول المنصفين.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" أخرجه أبو داود (٤٣٧٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٦٣٨).

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "ذوو الهيئات الذين يُقالون عثراتهم الذين ليسوا يُعرفون بالشَّرّ، فيزل أحدهم الزلة".

وقال الإمام العز بن عبد السلام -رحمه الله-: "لو رُفعت صغائر الأولياء إلى الأئمة والحكام لم يجز تعزيرهم عليها، بل يُقيل عثرتهم، ويستر زلتهم، فهم أولى من أقيلت عثرته، وسُترت زلته".

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف

Upload by : altawhedmag.com

والسؤدد. فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم، فمن كان مستورًا مشهورًا بالخير حتى كبا به جواده، ونبا غضب صبره، وأديل عليه شيطانه، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته، بل تقال عثرته ما لم يكن حدًا من حدود الله: فإنه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع. (بدائع الفوائد: ١٣٩/٣).

وقال أيضًا: "ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة -وهو من الإسلام وأهله بمكان- قد تكون منه الهفوة والزلة فيما هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تُهدَر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين. (إعلام الموقعين: ٣/ ٢٩٤).

وللعلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- مصنف حافل أنصح بقراءته وهو "تصنيف الناس بين الظن واليقين". ومما قاله في كتابه: ومن مستندات (المنشقين) الجراحين: تتبُّع العثرات، وتلمُّس الزلات، والهفوات.

فيجرح بالخطأ، ويتبع العالم بالزلة، ولا تغفر له هفوة.

وهذا منهج مردود.

فمن ذا الذي سلم من الخطأ -غير أنبياء الله ورسله-. وكم لبعض المشاهير من العلماء من زلات، لكنها مُغتَفرة بجانب ما هم عليه من الحق والهدى والخير الكثير.

من الذي ما ساء قط

ومن له الحسنى فقط

ولو أخذ كل إنسان بهذا لما بقي معنا أحد، ولصرنا مثل دودة القز، تطوي نفسها بنفسها حتى تموت.

وانظر: ما ثبت في الصحيحين عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى أن يطْرُق الرجل أهله ليلاً؛ يتخونهم أو يلتمس عثراتهم".

ومن طرائقهم: ترتيب سوء الظن، وحمل التصرفات قولاً وفعلاً على محامل السوء والشكوك.

ومنه: التناوش من مكان بعيد لحمل الكلام على محامل السوء بعد بذل الهمّ القاطع للترصد، والتربص، والفرح العظيم بأنه وجد على فلان كذا، وعلى فلان كذا.

ومتى صار من دين الله: فرح المسلم بمفارقة أخيه المسلم للآثام؟!

ألا إن هذا التصيد، داء خبيث متى ما تمكن من نفس أطفأ ما فيها من نور الإيمان، وصيَّر القلب خرابًا يبابًا، يستقبل الأهواء والشهوات، ويفرزها. نعوذ بالله من الخذلان.

ثم ختم رسالته بعدة وصايا نافعة ومنها: الأصل بناء حال المسلم على السلامة، والستر؛ لأن اليقين لا يزيله الشك، وإنما يُزال بيقين مثله.

فاحذر -رحمك الله- ظاهرة التصنيف هذه، واحذر الاتهامات الباطلة، واستسهال الرمي بها هنا وهناك، وانفض يدك منها، يَخْلُ لك وَجْه الحق، وأنت به قرير العين، رضي النفس.

فالتزام واجب "التبين" للأخبار، والتثبت منها؛ إذ الأصل البراءة. وكم من خبر لا يصح أصلاً!

وكم من خبر صحيح لكن حصل عليه من الإضافات ما لا يصح أصلاً، أو حُرِّف، وغُيِّر، وبُدِّل. وهكذا.

وبالجملة فلا تُقرَّر المؤاخذة إلا بعد أن تأذن لك الحُجة، ويقوم عندك قائم البرهان كقائم الظهيرة. وقد أمرنا

Upload by : altawhedmag.com

الله تعالى بالتبيُّن فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (النساء: ٨٣).

احذر "الفتانين" دعاة "الفتنة" الذين يتصيدون العثرات وسيماهم: جعل الدعاة تحت مطارق النقد، وقوارع التصنيف، موظفين لذلك: الحرص على تصيُّد الخطأ، وحمل المحتملات على المؤاخذات، والفرح بالزلات والعثرات، ليمسكوا بها بالحسد والثلب، واتخاذها ديدنًا.

وهذا من أعظم التجنّي على أعراض المسلمين عامة، وعلى الدعاة منهم خاصة. وسيماهم أيضًا: توظيف النصوص في غير مجالها، واخراجها في غير براقعها، لتكثير الجمع، والبحث عن الأنصار، وتغرير الناس بذلك.

فإذا رأيت هذا القطيع فكبّر عليهم، ووَلِّهم ظهرك، وان استطعت صدَّ هجومهم وصيالهم فهو من دفع الصائل.

واعلم أن "تصنيف العالم الداعية" -وهو من أهل السُّنة- ورميهُ بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة، واسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبقدر هذا الصد، ينفتح السبيل للزائغين... وقد تتابعت كلمة العلماء في الاعتذار عن الأئمة فيما بدر منهم، وأن ما يبدو من العالم من هنات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه وفضله.

فهذا الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- يقول في ترجمة كبير المفسرين قتادة بن دعامة السدوسي (المتوفى سنة ١١٧هـ رحمه الله تعالى) بعد أن اعتذر عنه: "ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يُغفر له زلله، ولا نُضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم: لا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك" اهـ.

ومن محاسن جماعة أنصار السنة ومنهاجها الذي سارت عليه، أنهم دعاة للحق قد صرفوا وقتهم وجهدهم لنشر السنة ورد البدعة بأدب الرد المعلوم عند السلف، ولم يستفرغوا جهدهم في القيل والقال، والطعن واللمز لكل عالم أو داعية، بل ينصحون بأدب النصيحة، ويسترون العيب عمن ظهرت منه حُسن السريرة وعُلم حرصه على نشر السنة في الصحيفة، فالأدب في الرَّدّ خُلقهم، وبذل العلم هو سبيلهم، وخدمة أهل الإسلام أحلى أعمالهم، لا كما يفعل المتسلقون على جهود العلماء بالوضع والتجريح ولا يجلسون في مجالسهم للغمز والتلويح، فهذا منهج دخيل على أهل السنة جملة وعلى منهاج هذه الجمعية خاصة؛ فاللهم إنا نسألك أن تثبتنا على الحق حتى نلقاك، ولا تصرفنا عن منهج أهل السنة حتى تتوفنا وأنت راضٍ عنا غير غضبان.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

السياحة بين الحظر والإباحة

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد يسأم العابد من طول العبادة، فيحتاج إلى تجديد الهمة؛ فشرع الله له أنواعًا من الرخص المباحة، فيضرب في الأرض ليجدد النشاط ويبتغي الرزق الحلال، وينمي مهارة لا تُطلب إلا بالسعي والترحال.

قال الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

والسياحة عرفها الشوكاني: الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء، وهي مما يعين العبد على الطاعة لانقطاعه عن الخلق، ولما يحصل له من الاعتبار بالتفكر في مخلوقات الله سبحانه. (فتح القدير ٤٦٥/٢).

وللسياحة في الإسلام أهداف نبيلة سامية، ومنها:

١- التفكر والنظر في ملكوت الله

قال تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (العنكبوت: ٢٠).

٢- الاعتبار بأحوال الأمم المكذبة قبلهم

قال تعالى «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» (الأنعام: ١١)؛ قال ابن عاشور: النظر في عاقبة المكذبين هو المقصد من السير، فهو مما يرتقى إليه بعد الأمر بالسير، ولأن هذا النظر محتاج إلى تأمل وترسم فهو أهم من السير، والنظر يحتمل أن يكون بصريًا وأن يكون قلبيًا. (التحرير والتنوير ١٤٨/٧).

قال القرطبي: هذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار، والعاقبة آخر الأمر. والمكذبون هنا من كذب الحق وأهله لا من كذب بالباطل. (تفسير القرطبي ٣٩٥/٦).

٣- السياحة من دار الكفر إلى دار الطاعة

أمر الله تعالى عباده بالهجرة من وطن الكفر إلى دار الإيمان تحقيقًا للطاعة ودفعًا للعذاب؛ فقال عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

Upload by : altawhedmag.com

حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا » (النساء: ٩٧- ٩٩).

وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليجد موطنًا يعبد الله فيه ويعلن دعوته وينتشر منه الإسلام إلى رباع الأرض، وقبل ذلك أذن لأصحابه في الهجرة إلى بلاد الحبشة.

٤- السياحة في طلب العلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (صحيح مسلم ٢٦٩٩).

والرحلة في طلب العلم أمرها مُقرَّر في الشريعة، وبها حفظ الله الدين، وقد صنف الخطيب البغدادي كتابه المشهور "الرحلة في طلب الحديث"، ومن جملة ما سطره في كتابه ما أسنده عن عكرمة، مولى ابن عباس في قوله تعالى «السَّٰئِحُونَ» (التوبة: ١١٢) قَالَ: «هُمْ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ». (الرحلة في طلب الحديث: ص١١).

٥- السياحة طلبًا للجهاد في سبيل الله

عن أبي أمامة، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى" (حديث حسن: أخرجه أبو داود: ٢٤٦٨).

وقد حثنا الله في كتابه على أن نضرب في الأرض ولا نقعد عن الجهاد في سبيله: فقال: «لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء ٩٥).

٦- السياحة بحثًا عن الرزق والاكتساب

قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك ١٥)؛ والآية دالة على أن الله أباح لنا الضرب في الأرض للانتفاع الدنيوي، وكذلك الأخروي. قال ابن كثير: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات. واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: «وكلوا من رزقه»؛ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل.

فهذه أهم صور من السياحة التي شرعها الله لعباده، وفيها منافع للناس.

السياحة المنهي عنها في الإسلام

هناك نوع آخر من السياحة حرمها الإسلام، فلا يليق بمسلم أن ينشغل بهذا العمل ولا أن يشارك في مثل هذه الأسفار ومنها:

١- السياحة إلى أماكن المعذبين قبلنا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» (صحيح البخاري ٤٣٣، ومسلم ٢٩٨٠).

وفي لفظ آخر، قال: لما مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنَّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي» (صحيح البخاري ٤٤١٩، ومسلم ٢٩٨٠).

بل إن الانتفاع بآثارهم لا يُشرع: فعن نافع، أن عبد الله بن عمر، أخبره، أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر-أرض ثمود- فاستقوا من آبارها، وعجنوا به العجين «فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت ترِدُها الناقة» (صحيح البخاري ٣٣٧٩، ومسلم ٢٩٨١).

٢- السياحة إلى المشاهد والقبور تعظيمًا لها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ الطُّورَ فَوَجَدْتُ ثَمَّ كَعْبًا،

Upload by : altawhedmag.com

فمكثت أنا وهو يومًا أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحدثني عن التوراة، فقلت له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة، حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه، فقال كعب: ذلك يوم في كل سنة، فقلت: بل هي في كل جمعة، فقرأ كعب التوراة، ثم قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة. فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قلت: من الطور، قال: لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته، قلت له: ولم؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس" (أخرجه النسائي (١٤٣٠) وأحمد (٧/٦)، وصححه الألباني في الارواء (٧٧٣).

والذي فهمه العلماء من هذا النص هو: ليس في الأرض بقعة لها فضل بذاتها حتى يسافر إليها لذلك الفضل غير هذه الثلاثة، وأما غيرها فلا يسافر إليها لذاتها بل لمعنى فيها من علم أو جهاد أو نحو ذلك، فلم يقع المسافر إلى ذلك المكان بل إلى من في ذلك المكان. (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ١٠١/١).

قال شيخ الإسلام: فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة. (اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٢/٢).

وقال أيضًا: فقد علم بالنقل المتواتر، بل علم بالاضطرار من دين الإسلام، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات، والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك، وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم، لا مسجدًا ولا مشهدًا. ولم يكن على عهده -صلى الله عليه وسلم- في الإسلام مشهد مبني على قبر، وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلي بن أبي طالب ومعاوية، لم يكن على عهدهم مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره، لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره. (منهاج السنة ٤٧٨/١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وكانت أم سلمة، وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه، فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله» (صحيح البخاري ١٣٤١، ومسلم ٥٢٨).

وقد تنزل الذم على من فعل هذا فكيف يزار موضع أسسه شرار الخلق؟!

قال ابن رجب: هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراد، فتصوير صور الآدميين محرم، وبناء القبور على المساجد بانفراده محرم، فإن اجتمع بناء المسجد على القبور ونحوها من آثار الصالحين مع تصوير صورهم فلا شك في تحريمه، سواء كانت صورًا مجسدة كالأصنام أو على حائط ونحوه، كما يفعله النصارى في كنائسهم وتصوير الصور

Upload by : altawhedmag.com

للتآنس برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم، وهو من الكبائر، وفاعله من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، فإنه ظالم مُمثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره، والله تعالى «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ» (الشورى:١١)؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى. (فتح الباري لابن رجب (٢٠٢/٣) بتصرف).

٣- السياحة إلى التماثيل ومعابد الجاهلية

عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» (صحيح مسلم ٩٦٩)؛ قال النووي: فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح. (شرح النووي ٣٦/٧).

قال شيخ الإسلام: فأمره بطمس التماثيل وتسوية القبور العالية المشرفة؛ إذ كان الضالون أهل الكتاب أشركوا بهذا وبهذا: بتماثيل الأنبياء والصالحين، وبقبورهم. (الإخنائية ٣٩٦).

وعن أبي هريرة قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل إلى الحجر، فاستلمه ثم طاف بالبيت، قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوس وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه، ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» (الإسراء: ٨١). (صحيح مسلم ١٧٨٠).

قال ابن القيم: ولما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا، فجعل يطعن بسية قوسه في وجوهها، وعيونها، ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (الإسراء: ٨١). وهي تتساقط على رؤوسها، ثم أمر بها، فأخرجت من المسجد وحرقت. (إغاثة اللهفان ٢٢١/٢).

٤- السياحة إلى أماكن اللهو المحرم

كثير من الأماكن السياحية تعج بالمخالفات الشرعية فتشتمل على مسابح وحمامات مختلطة، وقد تتعرى فيها النساء بثياب لا تستر السوءات، وقد تُدار كؤوس الخمر في بعضها، ويعلو صوت الموسيقى والغناء الفاحش، ويكثر الاختلاط، وقد يُعان فيها على فعل الزنا والمنكرات العظام إلى غير ذلك مما حرمه الله تعالى تحريمًا صريحًا، إذن لا يليق بمسلم أن يحضر أو يشهد هذه الموبقات؛ عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَقْعُدَنَّ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ..." (أخرجه أحمد ٣٣٩/٣، والحاكم ٢٨٨/٤، والترمذي ٢٨٠١، وصححه الألباني في الإرواء ١٩٤٩).

والعبد لو دعي إلى وليمة أخيه والحضور من أعمال البر، فوجد معصية فعليه الانصراف، ومن فقه الإمام البخاري في صحيحه أنه عقد بابًا بعنوان "هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ"، وساق تحته ما يريد أن يذهب إليه فقال: ورَأَى أَبُو مَسْعُودٍ، صُورَةً فِي البَيْتِ فَرَجَعَ، وَدَعَا ابْنُ عُمَرَ أَبَا أَيُّوبَ، فَرَأَى فِي البَيْتِ سِتْرًا عَلَى الجِدَارِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: غَلَبَنَا عَلَيْهِ النِّسَاءُ، فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ فَلَمْ أَكُنْ أَخْشَى عَلَيْكَ، وَاللهِ لاَ أَطْعَمُ لَكُمْ طَعَامًا، فَرَجَعَ».

فسبحان الله!! أهذه هي المعصية التي من أجلها رجع أبو أيوب، ثم بوَّب عليها البخاري بهذا الباب، وكأن هذا الفعل أفحش ما وقع في زمانهم، فإلى الله المشتكى من كثرة الفحش والتفحش. ونسأله سبحانه أن يعصمنا من الزلل، وأن يثبت قلوبنا على الحق حتى نلقاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by : altawhedmag.com

السطحية العلمية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن العالم يشهد ثورة معلوماتية غير مسبوقة؛ إذ توافرت سُبل الاتصال، ويُسّرت طرق البحث والاستقراء، وذُلّلت مصادر لم تكن إلا في خزائن الأدراج، بل ونُقلت أصوات الدعاة والعلماء في كل الأقطار.

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

ومع هذه الثروة المتتابعة والمتلاحقة؛ سادت حالة من السطحية العلمية، والفجوة الأدبية، وفقد الرسوخ والأدب في فهم العلوم الشرعية، والعزوف عن الدقة في البحث والتنقيح للمسائل العلمية، نعم زادت وسائل التعلم، لكننا فقدنا المتعلم، وكثرت دروس البثّ، لكننا فقدنا الأثر الملموس في تزكية النفس، وانتشرت مصنفات العلم، لكن فقدنا الجَلَد في مداومة القراءة وتقييد النفيس من الكتب والفرائد وضعفت الهمم، وظهرت أنواع من السطحية العلمية والفكرية في تناول القضايا العظام والمسائل الكبار، فلم يَعُد همُّ الفتية اليوم الانكباب على الأمهات بقَدْر ما يحرصون على تناول قصير المقالات والتغريدات، ولم يَعُد في مقدور الشباب الصبر على سماع محاضرة علمية تزيد على الساعات، وانما يحرصون على سماع المقاطع بما لا يتعدى دقيقة أو دقيقات، فالهمم قد فترت، والشواغل بالتنوع المعرفي المتداخل والمتلاطم قد كثرت، والاكتفاء بالنُّتَف والقصاصات قد طغت؛ فعمَّ الجهل وفشا، واستفحل التَّعالُم وطغى، واكتفى كثير من الطلاب بقشور، وتركوا اللُّبَّ واهتموا بحب الظهور.

وها هو الإمام ابن الجوزي يصف حالة الضعف العلمي والسطحية العقلية فقال: "كانت همم القدماء من العلماء عَلِيَّة، تدلُّ عليها تصانيفهم، التي هي زُبْدَة أعمارهم، إلا أن أكثر تصانيفهم دَثَرت؛ لأن همم الطلاب ضعُفت، فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون للمطوَّلات، ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدَثَرت الكتب ولم تُنْسَخ. فسبيل طالب الكمال في طلب

Upload by : altawhedmag.com

العلم: الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة.

وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم! لا نرى فيهم ذا همة عالية؛ فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع، فيستفيد منه الزاهد.

فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال:

فاتني أن أرى الديار بطرفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

واني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، واذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد.... ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلَب! فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقَدْر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم؛ ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب. ولله الحمد. (صيد الخاطر: ص٤٥٢)

تعلُّم العلم له طريقان:

أحدهما: طريق المشافهة، وهو أخذه عن أهله العلماء به، وعلى هذا درج السلف وتعلم الخلف، ولهذا عقدت حلقات العلم ومجالس الإقراء والسماع والإجازة.

روى الخلال في أخلاق الإمام أحمد عن إبراهيم، قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سَمْته وإلى هيئته، ثم يأخذون عنه. وعن الأعمش، قال: كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه.

وقيل لابن المبارك: أين تريد؟ قال: إلى البصرة، فقيل له: مَن بقي؟ فقال: ابن عون، آخذ من أخلاقه، آخذ من آدابه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودلّه. وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته. (الآداب الشرعية ٢/١٤٥).

وروى الخطيب عدة آثار في فضل تعلُّم الهَدْي والسمت من العلماء، فروى بإسناده قال مالك بن أنس، قال ابن سيرين: «كانوا يتعلمون الهَدْي كما يتعلمون العلم» قال: وبعث ابن سيرين رجلًا فنظر كيف هَدْي القاسم وحاله.

وعن ابن المبارك، قال: قال لي مخلد بن الحسين: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث».

وعن أبي زكريا العنبري، يقول: "علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم، وانما شبّهت العلم بالنار لما روينا عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للعلم شبهًا إلا النار، نقتبس منها ولا ننتقص عنها".

وقال ابن خلدون في المقدمة: "إنَّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة: مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أنَّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة: علمًا وتعليمًا ولقاءً. وتارةً: محاكاةً وتلقينًا بالمباشرة. إلا أنَّ حصول المَلَكات عن المباشرة والتلقين، أشدُّ استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها وتفتحها.

والاصطلاحات أيضًا في تعليم العلوم مُخلّطة

Upload by : altawhedmag.com

على المتعلم، حتى لقد يظنُّ كثير منهم أنَّها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين.

فلقاء أهل العلوم، وتعدُّد المشايخ؛ يُفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيُجرِّد العلم عنها، ويعلم أنَّها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه ويُميِّزها عن سواها، مع تقوية مَلَكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعدُّدهم وتنوُّعهم، وهذا لمن يسَّر الله عليه طرق العلم والهداية.

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذه الطريقة للتعلم أدعى للفهم وأسرع في التعلم وأبعد من الخطأ

قال الشاطبي عنها: "خاصية جعلها الله تعالى بين المُعلِّم والمتعلم، يشهدها كلَّ مَن زاول العلم والعلماء؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المُعلِّم فهمها بغتةً، وحصل له العلم بها بالحضرة، وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال، وايضاح موضع إشكال لم يَخْطُر للمتعلم ببال، وقد يحصل بأمر غير معتاد، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم، ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يُلقَى إليه.

وهذا ليس يُنْكَر؛ فقد نبَّه عليه الحديث الذي جاء: "إن الصحابة أنكروا أنفسهم عندما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم".

الثانية: أخذه عن الكتب والمصنفات، وهي دواوين العلم وخزائنه. ومعلوم أن كل كتاب له مفتاح وأهل العلم الراسخين معهم مفاتيح الكتب ففي الكتب أمور تصدّ عن التعلم؛ كما قال سليمانُ بن موسى: لا يُؤخَذُ العلمُ مِنْ صَحَفِيٍّ. (التمهيد ١/ ٤٦).

قال الشاطبي مبينًا أهمية هذه الطريقة، وأنها نافعة لكن بشروط فقال: "مطالعة كتب المصنفين ومدوني الدواوين، وهو أيضًا نافع في بابه؛ بشرطين:

الأول: أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله؛ ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل بالطريق الأول، ومن مشافهة العلماء، أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول مَن قال: "كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتحه بأيدي الرجال"، والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئًا، دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد.

والشرط الآخر: أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة والخبر.

أما التجربة؛ فهو أمر مشاهد في أيّ علْم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما يبلغه المتقدم، وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري؛ فأعمال المتقدمين-في إصلاح دنياهم ودينهم- على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومَن طالع سِيَرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم؛ أبْصَر العجب في هذا المعنى. ثم ساق عدة

Upload by : altawhedmag.com

أخبار وقال: وقال عليه السلام: "إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ: فطوبى للغرباء". قيل: مَن الغرباء؟ قال: "النُّزَّاع من القبائل".

وفي رواية: قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: "الذين يَصْلُحون عند فساد الناس". والأخبار هنا كثيرة، وهي تدل على نقص الدين والدنيا، وأعظم ذلك العلم؛ فهو إذًا في نقص بلا شك.

فلذلك صارت كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم؛ أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، وخصوصًا علم الشريعة، الذي هو العروة الوثقى، وبالله تعالى التوفيق. (الموافقات (١/١٤٥). بتصرف).

فهكذا كان سبيل المتعلمين، وطريق المجتهدين، ووسيلة الصالحين، قد مزجوا بين لقاء الشيوخ والانتفاع بعلومهم مع انتقاء الكتب المحررة لتثبيت علومهم، فكان الكتاب نديمهم وأنيسهم في خلواتهم، قيل لعبد الله بن المبارك: كيف لا تستوحش في مكانك وحدك؟ فقال كيف يستوحش من هو مجالس للنبي-عليه السلام- والصحابة والتابعين-رضي الله عنهم- ، يعني: الكتب التي فيها الأخبار، والسِّيَر، والله أعلم. (الآداب الشرعية ٣/٦٠٧).

وقال أحمد بن عمران: كنتُ عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع، وقد تخلَّف في منزله، فبعث غلامًا من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابيِّ صاحب الغريب، يسأله المجيء إليه، فعادَ إليه الغلامُ فقال: قد سألتُه ذلك فقال لي: عندي قومٌ من الأعراب، فإذا قضيتُ أَرَبي معهم أتيتُ. قال الغلامُ: وما رأيتُ عندَه أحدًا، إلا أنَّ بين يديه كُتُبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرةً، وفي هذا مرةً، ثمَّ ما شَعَرْنا حتَّى جاء، فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله، سبحان الله العظيم! تخلَّفتَ عنَّا وحرمتَنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلامُ: إنه ما رأى عندك أحدًا. وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيتُ أَرَبي معهم أتيتُ. فقال:

لنا جلساءُ ما نملُّ حديثَهُم
ألبَّاءُ مأمونون غيبًا ومشهدا
يُفيدوننا من علمِهم مثل ما مضى
وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مُسدَّدا
بلا فتنةٍ تُخشَى ولا سوءِ عشرةٍ
ولا نتَّقي منهم لسانًا ولا يدًا
فإن قلتَ أمواتٌ فما أنت كاذبٌ
وإن قلتَ أحياءٌ فلستَ مُفنِّدا

(طبقات النحويين: ١/١٩٧).

وكان الزهري، إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل أحد، فقالت له زوجته: والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر. (المختصر في أخبار البشر: ١/٢٠٤).

فلماذا يُلْتَمَس العلم اليوم عند الأصاغر، ويُصْدَف عن مصنفات الأكابر، والله إنها من الكبائر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة ثلاثة: إحداهن أن يُلْتَمَس العلْم عند الأصاغر" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٣٦١ رقم ٩٠٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٦٩٥).

قيل لابن المبارك: مَن الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير. وانظر جامع بيان العلم وفضله (١/٢١٩).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

سيف الله المسلول على طائفة بني سلول

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الهجمة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغت مدًى من الحقارة والدناءة ما لا يجوز السكوت عليه؛ مرةً بالسخرية، وأخرى بالتشويه، وثالثة الأثافي بمُغالطات تاريخية لا يمكن وصفها إلا بالتزوير في تاريخ المسلمين، خاصةً في الأعمال التمثيلية التي يكتبها صحفيون لا يميزون بين الحقيقة والمجون، وهمُّ أحدهم كيف يسيطر على العقول، ويربط المشاهد بحلقات من الجذب والتلاعب بالمشاعر ولو كان على حساب الدِّين وصريح المنقول.

ومع إقبال شهر رمضان تعجّ القنوات بكل الملاهي والصوارف عن التعبُّد والقنوت، ما بين ضحك وتسلية، أو بكاء وتعزية، أو مباريات يجتمع عليها الطغام في كل حارة وأقبية.

فالمحنة كبيرة، والسهام كثيرة؛

ولو كان سهمًا واحدًا لاتَّقَيْتُه

ولكنه سهم وثانٍ وثالث

ومن الصحابة الذين نالوا قسطًا وافرًا من الطعن والنقد، والغمز واللمز؛ سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ويبدو من الوهلة الأولى أن من ينتقدوه إنما يفعلون ذلك لخبيئة في نفوسهم؛ إذ إن خالد بن الوليد قد أقض مضاجعهم، وكشف نفاقهم، وبيَّن عَوارهم، فهو يُمثِّل في الإسلام صورة من الجهاد الأبيّ، والعزة للدين الزكي، والنُّصرة لأهل الإيمان العلي، والمحاربة للمرتدين والمنافقين أهل الغي الردي.

فلا عجب من طعنهم، ولا ريب في قُبْح فعالهم، ولعل فعلهم أدعى لنشر فضيلة طويت، وصحيفة

Upload by : altawhedmag.com

درست. ولله در من قال:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طُويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيب عرف العود

هذا الفاتك بالمسلمين يوم أُحُد، والفاتك بأعداء الإسلام بقية الأيام!!

خالد الذي أسلم لتوّه لنرى فارس قريش وصاحب أعنّة الخيل فيها، لنرى داهية العرب كافة في دنيا الكرّ والفرّ، يعطي لآلهة آبائه وأمجاد قومه ظهره، ويستقبل مع الرسول والمسلمين عالمًا جديدًا.

أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وشهد الفتح، وحُنينًا، وتأمّر في أيام النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وحارب أهل الردّة، ومُسيلمة، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرّية السماويّة بحيث إنه قطع المفازة من حدّ العراق إلى أوّل الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه أثر الجراح.

قال الله تعالى: «لا يَستوي منكم مَن أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير» (الحديد: ١٠).

إنه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، القرشيّ المخزومي سيف الله أبو سليمان، أمّه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزب الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم.

يحكي لنا عمرو بن العاص قصة إسلامهما، قال عمرو بن العاص: .... فنظرت فإذا خالد بن الوليد. فقلت: أبا سليمان؟ قال: نعم. قلت: أين تريد؟ قال: محمدًا، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طعم، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها.

قلت: وأنا والله قد أردت محمدًا وأردت الإسلام. فخرج عثمان بن طلحة، فرحّب بي، فنزلنا جميعًا ثم ترافقنا إلى المدينة، فما أنسى قول رجل لقينا بدير أبي عنبة يصيح: يا رباح، يا رباح. فتفاءلنا بقوله، وسرنا ثم نظر إلينا، فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين. فظننت أنه يعنيني خالد بن الوليد. وولّى مدبرًا إلى المسجد سريعًا فظننت أنه بشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدومنا، فكان كما ظننت.

وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا، ونُودي بالعصر، فانطلقنا حتى اطلعنا عليه، وإن لوجهه تهلّلاً، والمسلمون حوله قد سُرّوا بإسلامنا، وتقدم خالد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه، فما استطعت أن أرفع طرفي إليه حياءً منه، فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرني ما تأخر. فقال: "إن الإسلام يَجُبّ ما كان قبله، والهجرة تَجُبّ ما كان قبلها".

فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد أحدًا في أمر حربه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحال، وكان عمر على خالد كالعاتب. (سير أعلام النبلاء: ٢/ ١١٣).

قلت: هذا التحول السريع من رجلين كانا أشد الناس بأسًا على المسلمين بعد نطق الشهادتين، قد أصبحا أشد الناس فتكًا بأعداء هذا الدين من المشركين والوثنيين والمنافقين.

ويشهد لهذا السياق ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن شماسة المهريّ، قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلاً، وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إنّ أفضل ما نُعدّ شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله. إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحدٌ أشدّ بُغضًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، ولا أحبّ إليّ أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن

Upload by : altawhedmag.com

يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (صحيح مسلم: ١٢١).

تاريخ حافل بالجهاد في سبيل الله تعالى

مما تميَّز به الصحابة أنهم بمجرد أن يدخل أحدهم في الإسلام: فإن جسده وما يملك يتحول لنُصرة هذا الدين، بكل صور التضحية من مال ونفس، فها هو خالد بعد إسلامه يخرج من فوره على الجهاد في غزوة الأمراء وهي غزوة مؤتة.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ». (صحيح البخاري: ٤٢٦٢).

إن الذي فعله خالد بن الوليد في هذه المعركة شيء يربو على الخيال ويزيد على الأساطير، كيف انحاز بالجيش حتى فتح الله عليه وهم قلة والعدو كثرة كاثرة، لكن يكفينا أن نعرف ما قاله خالد عن نفسه في هذه المعركة إذ يقول: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ». (صحيح البخاري ٤٢٦٥).

هل انتهى جهاده بهذه المعركة؟ كلا، لقد كانت البداية، ثم بعدها شارك في غزوة حنين: فعن الزهري، قال: وكان عبد الرحمن بن الأزهر، يُحدِّث أن خالد بن الوليد بن المغيرة، جرح يومئذ وكان على الخيل: خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن الأزهر: قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما هزم الله الكفار، ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في المسلمين، ويقول: "مَن يَدُل على رَحْل خالد بن الوليد؟" قال: فمشيت -أو قال: فسعيت- بين يديه وأنا محتلم، أقول: مَن يدل على رَحْل خالد، حتى حللنا على رَحْله، فإذا خالد بن الوليد مستند إلى مؤخرة رحله، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى جرحه: قال الزهري: وحسبت أنه قال: ونفث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (مسند أحمد ١٦٨١١).

وشهد خالد فتح مكة ودخلها وهو يحمل راية التوحيد، وكان إذا مر على اللات قال: كفرانك، لا سبحانك، إني رأيت الله قد أهانك.

ثم ينهض خالد لحرب المنافقين والمرتدين، فعن عروة، قال: سار خالد إلى اليمامة إلى مسيلمة، وخرج مسيلمة بجموعه فنزلوا بعقرا، فحل بها خالد عليهم، وهي طرف اليمامة، وجعلوا الأموال خلفها كلها وريف اليمامة وراء ظهورهم، وقال شرحبيل بن سلمة: يا بني حنيفة اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم ستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم.

فاقتتلوا بعقرا قتالًا شديدًا، فجال المسلمون جولة، ودخل ناس من بني حنيفة فسطاط خالد، وفيه مجاعة أسير وأم تميم امرأة خالد، فأرادوا أن يقتلوها فقال مجاعة: أنا لها جار، ودفع عنها، وقال ثابت بن قيس حين رأى المسلمين مُدْبرين: أفٍ لكم ولما تعملون، وكرَّ المسلمون فهزم الله العدو، ودخل نفر من المسلمين فسطاط خالد فأرادوا قتل مجاعة، فقالت أم تميم: والله لا يُقتل، وأجارته، وانهزم أعداء الله حتى إذا كانا عند حديقة الموت اقتتلوا عندها، أشد القتال، وقال محكم بن الطفيل: يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة فإني سأمنع أدباركم، فقاتل دونهم ساعة وقُتل، وقال مسيلمة: يا قوم قاتلوا عن أحسابكم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وقاتل مسيلمة وحشي مولى بني

Upload by : altawhedmag.com

نوفل.

قال الزهري: قاتل خالد مسيلمة ومن معه من بني حنيفة، وهم يومئذ أكثر العرب عددًا وأشدهم شوكة، فاستشهد خلق كثير، وهزم الله بني حنيفة، وقُتل مسيلمة؛ قتله وحشي بحربة.

وكان يقال: قتل وحشي خير أهل الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني حمزة عم رسول الله-، وشر أهل الأرض -يعني مسيلمة الكذاب-. (سير أعلام النبلاء ص: ٤٧).

ثم نهض خالد لفتح العراق، ثم الشام، فيكسر كسرى ويهلك الله قيصر على يديه، وتتحقق نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى، فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (أخرجه البخاري: ٣١٢١، ومسلم ٢٩١٩).

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الفاتحين فقال: «لَتُفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ» (صحيح مسلم: ٢٩١٩). وخالد هو إمامهم فهو إمام المؤمنين في هذه الغزوة.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه كيف قتل الهرمزان أنه "لم يكن أحد أعدى للعرب من هرمز، فلما فرغنا من مسيلمة وأصحابه، أقبلنا إلى ناحية البصرة، فلقينا هرمز بكاظمة في جمع عظيم، فبرز له خالد ودعا البراز فبرز له هرمز، فقتله خالد بن الوليد، وكتب بذلك إلى أبي بكر الصديق فنفله سلبه، فبلغت قلنسوته مائة ألف درهم، وكانت الفرس إذا شرف الرجل جعلوا قلنسوته مائة ألف درهم» (مستدرك الحاكم ٥٢٩٨).

قال أبو وائل: كَتَبَ خَالِدٌ إِلَى الفُرْسِ: إِنَّ مَعِي جُنْدًا يُحِبُّونَ القَتْلَ كَمَا تُحِبُّ فَارِسُ الخَمْرَ.

وفي الشام ينتقل بجيشه إلى الأمراء هناك، وكانت وقعة اليرموك وقعة مشهودة، نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة، وقيل: سنة ثلاث عشرة وأراه وهمًا، فكانوا في أكثر من مائة ألف، وكان المسلمون ثلاثين ألفًا، وأمراء الإسلام أبو عبيدة، ومعه أمراء الأجناد، وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة والستة في السلسلة؛ لئلا يفرّوا، فلما هزمهم الله جعل الواحد يقع في وادي اليرموك، فيجذب من معه في السلسلة حتى ردموا الوادي، واستووا فيما قيل بحافتيه، فداستهم الخيل، وهلك خلق لا يُحصون.

وبعد هذه الحياة المليئة بالجراح، وكل هذه البلاد التي فتحها، هل كان خالد بن الوليد من الأثرياء أصحاب الجاه؟ كلا، لقد أوقف أمواله وسلاحه في سبيل الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّدَقَةِ، فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا" (صحيح البخاري ١٤٦٨).

سبحان الله! عُدة الحرب جعلها وقفًا في سبيل الله ينتفع بها المسلون بعد وفاته، أي همّة هذه؟! وأي تضحية تلك؟!

وبعد كل هذا ينعي نفسه إذ يأتيه الموت على الفراش وليس في ساحات المعارك والغبار فيقول لما حضرته الوفاة: «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء». (الاستيعاب ٢/ ٤٣٠).

فاللهم صل على محمد وآله، وعلى أصحابه البررة الطاهرين، الأئمة المجاهدين الغر الميامين.

Upload by : altawhedmag.com

الإلمام بمحاسن الصيام

الأستاذ د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فإن الصيام أحد أركان الإسلام التي لا يتم الإيمان إلا بها، وهو رابع ركن من أركانه، والصيام له فوائد دينية ودنيوية، ومحاسن تربو عن الحصر.

يقول ابن القيم: "لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسَورتها، ويُذكِّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين؛ وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل

Upload by : altawhedmag.com

معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ» (صحيح البخاري ٧٤٩٢).

وأمر مَن اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قُدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة. والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة؛ شرعه الله لعباده رحمة بهم، واحسانا إليهم وحمية لهم وجُنة. (زاد المعاد ٢/ ٢٧-٢٨).

ومن المحاسن التي اشتمل عليها الصيام:

أولًا: كسر النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ثانيًا: تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر وتستدعي الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر.

ثالثًا: إن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرًا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

رابعًا: إن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سَوْرة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم "الصوم وجاء"؛ لقطعه عن شهوة النكاح. (لطائف المعارف: ص١٥٥).

خامسًا: التقوى، لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال طمعًا في مرضاة الله، وخوفًا من أليم عقابه، فمن باب أولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سببًا للتقوى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

سادسًا: الصائم يُدرِّب نفسه على مراقبة الله، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به" متفق عليه.

سابعًا: تحقيق مبدأ الامتثال والانقياد إلى الله تعالى.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

ومن السنة: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا»، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ فَقَالَ: «شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ

Upload by : altawhedmag.com

شَيْئًا» (صحيح البخاري ١٨٩١).

ثامنًا: اجتماع القلب والهمّ على الله تعالى، وتوفير قوى النفس على محابّه وطاعته.

تاسعًا: تعويد النفس وتمرينها على قوة العزيمة والصبر.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي" متفق عليه. وفي رواية البخاري: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

عاشرًا: الوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية.

فعَنْ مُعاذ بْن جبل، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في سفرٍ..... ثُمَّ قَالَ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ....." (أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وصححه الألباني). وقوله: «الصوم جُنَّة» أي: وقاية.

الحادي عشر: تتميم الدين والإيمان وزيادة كماله والبر العميم

الثاني عشر: تذكر هموم الآخرة وأهوالها، بسبب العطش والجوع الشديد في أرض المحشر وفي نار جهنم.

الثالث عشر: تقوية داعي الإخلاص وتحقيق محبته على محبة النفس.

الرابع عشر: وقاية النفس من الأنانية والإفراط في حب الدنيا.

الخامس عشر: تكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، وقد جعله الله سببًا لصلاح القلوب والأرواح والأبدان. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرَ» (صحيح مسلم).

السادس عشر: كفّ اللسان عن الرفث والخنا

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ" (صحيح البخاري).

السابع عشر: الدخول من باب الريان

فعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ" (رواه البخاري ومسلم).

الثامن عشر: الاستعانة على التحصين في العزبة

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (رواه مسلم).

التاسع عشر: معرفة قدر نعمة الله على العباد بتناول ما يشتهيه من الأكل والشرب والنكاح؛ لأن قدر النعم لا يعرف إلا بضدها كما قيل: "وبضدها تتبين الأشياء"؛ لأن الإنسان إذا كان دائمًا شبعان وريان، ويتمتع بأهله، لا يعرف

Upload by : altawhedmag.com

قدر هذه النعمة، لكن إذا حجب عنها شرعًا أو قدرًا عرف قدر هذه النعمة، إذن ليعرف الإنسان بذلك قدر نعمة الله عليه بتناول الأكل والشرب والنكاح؛ لأنه يفقدها في هذا اليوم فيشكر الله -سبحانه وتعالى- على التيسير. (فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٣/١٦٦).

العشرون: أن يعرف الغني حاجة الفقير فيرق له ويرحمه، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، والإنسان لا يعرف حاجة المضطر إذا كان هو شبعان، لكن إذا جاع عرف قدر الجوع وألمه فيرحم بذلك إخوانه الفقراء.

الواحد والعشرون: إن الغالب على الصائمين التفرغ للعبادة، ولهذا تجد الإنسان في حال الصيام تزداد عبادته وليس يوم فطره ويوم صومه سواء إلا الغافل فله شأن آخر، لكن الإنسان اليقظ الحازم الفطن الكيِّس يجعل يوم صومه غير يوم فطره.

الثاني والعشرون: التذكير بعدل الله -سبحانه وتعالى-، ومساواته بين خلقه؛ حيث جعل هذا الركن فرضًا على جميع المسلمين غنيهم وفقيرهم، ملوكهم وسوقتهم، وبذلك يتذكر الملوك العدل الذي فرض عليهم إقامته بين رعاياهم. (شرح زاد المستقنع - عبد الكريم الخضير ١/١٦).

الثالث والعشرون: الصوم دورة تدريبية سنوية عامة، تتنوع دروسها وفوائدها، وتشمل المسلمين جميعًا رجالًا ونساءً، أغنياء وفقراء، حاكمين ومحكومين. (التعريف بالإسلام، ص: ٣٤١).

الرابع والعشرون: الصوم مدته يسيرة، شهر واحد من اثني عشر شهرًا، وهو يسقط عن العاجز، ويُرخَّص فيه للمريض والمسافر بالإفطار والقضاء بعد ذلك. (التعريف بالإسلام، ص: ٣٤١).

الخامس والعشرون: إنه لم يفرض في كل العمر مع ما فيه من الحسن، بل فرض شهرًا من كل سنة.

السادس والعشرون: اكتساب مكارم الأخلاق، لأن قلة الأكل من محاسن الأخلاق، ولذلك لم يحمد أحد بكثرة الأكل ويحمد على قلة الأكل؛ يحمده كل ذي دين في كل حين ولم يرو عن أحد من الأنبياء كثرة الأكل.

السابع والعشرون: إن الله من لطفه بعباده لم يشترط في القضاء ما في الأداء من كل وجه، فلم يشترط في القضاء طول اليوم باليوم ولا حرارته ولا برودته، فإذا أفطر في أطول يوم ثم قضاه في أقصر يوم أجزاه وكفاه.

الثامن والعشرون: في الصيام تتجلى وحدة المسلمين، وتعرف الأمة أهمية الوقت؛ يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "الصيام يُعلِّم الأمة النظام في المعيشة، فجميع المسلمين يفطرون في وقت واحد لا يتقدم أحدٌ على آخر دقيقة واحدة، وقلما يتأخر عنه دقيقة واحدة". (تفسير المنار (٢/١٤٨) بتصرف يسير).

فالحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، ونسأله سبحانه أن يُبلِّغنا رمضان، وأن يرزقنا صيامه وقيامه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

الإفرازات الخفية للحضارة الغربية

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: فمهما حاول أعداء الإسلام تزييف الحقائق، وقلب الوقائع، والتَّزيّ بزيّ الفضائل، والتحلّي بأنواع من البصائر والفضائل؛ إذ يمكر الله بهم فيُبْدي لهم ما خفي من المخاطر، وما أضمروا من الشر والرذائل، وعندها تنكشف الحقائق، ويبدو للعيان أهدافهم القبيحة ومخططاتهم لهدم القيم النبيلة ومحاربة الدين بكل الوسائل القريبة والبعيدة.

وفي الأيام المنصرمة ظهرت ملفات خفية للنُّخب السامية، والكيانات الرفيعة العالية، وقد تدثروا بلباس العفة وهم أبعد الناس عنها، وتزيّنوا بثياب الرحمة وهم شرّ الخليقة، ورفعوا لواء الحرية وهم أكثر الناس تسلطًا وغيًّا، فالكفر ملة واحدة؛ وإن تذرعوا بالقيم فهم أبعد الناس عنها.

والله سبحانه وتعالى قد بيَّن لنا في كتابه وصفهم وما يليق بهم فهم أشبه ما تكون حياتهم بحياة البهائم، فلا يعرفون ربهم، وغايتهم أن يأكلوا ويشربوا ويناموا... فأيّ فرق بينهم وبين سائر الحيوانات؟ بل هم أضل منها؛ قال جل ثناؤه: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (الأعراف: ١٧٩)، وقال عز من قائل: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ

Upload by : altawhedmag.com

أَضَلُّ سَبِيلًا » (الفرقان: ٤٤).

وقد انخدع الكثير من أبناء المسلمين بالحضارة الغربية الزائفة، وتأثروا بها، بل وتنكّبوا عن الإسلام وتعاليمه. ونحن لا ننكر سبقهم في ميادين النهضة الدنيوية. فالنهضة المادية لن تشفع لهم إن فسدت أخلاقهم وتنكست عقولهم. وقد ذكر الله عن قوم عاد: أنهم كانوا أصحاب قوة وذكاء، بنَوْا حضارة من أعرق الحضارات؛ قال تعالى عنها: « إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ » (الفجر: ٧- ٨). لكنهم لما جحدوا آيات الله، ما نفعتهم عقولهم ولا قوّتهم، بل صارت وبالًا عليهم. قال تعالى: « وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ » (الأحقاف: ٢٦).

وهؤلاء قد استكبروا عن سماع هداية الله فكان جزاؤهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) (فصلت: ١٥ - ١٦).

وهذا الذي حلّ بهم ليس بعيدًا عن مثلهم، ومن كان على شاكلتهم: « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » (هود: ١٠٢).

ومهما ارتفعت دول في علوم المادة، وتغافلت عن الأخلاق الحميدة؛ فلا بد أن تزول وتهلك.

"ففي الحضارة الغربية الحديثة، سيطرت المادة على كل شيء، فأصبح تحصيل المنافع الدنيوية الهدف الأسمى، والغاية التي تُسوّغ الوسيلة. فالقيم الأخلاقية ليس لها أساس روحي، بل تتبع في مضمونها تحقيق الأرباح. ولذلك نجد أن الأخلاق ليست ثابتة، بل تتغير تبعًا للمنافع والمكاسب الدنيوية، ويحل محلها نظريات وقيم جديدة. ولذلك نجد أن الغرب إذا اهتم ببعض الأخلاق والفضائل، إنما يهتم بها لجلب المكاسب، كالأمانة في التجارة، والاهتمام بالوقت، والانضباط في العمل، ولا يُعير أهمية للقيَم الأخلاقية الشخصية والاجتماعية، كالعفة والشرف والحياء والإخلاص وبرّ الوالدين وحقوق الأسرة.

فالإنسان في الحياة المادية لا يهتم إلا بتحقيق الثراء المادي.

من هنا جاء فساد الحضارة الغربية، وانفصالها الكامل عن الأخلاق على مستوى العلاقات بين الدول، أو على مستوى العلاقات بين الأفراد". (الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية: ص٢٩).

"والدول لا تُتاح لها القوة حتى يكون من وراء كل هذه العدة الهائلة، وذلك الإنتاج الضخم خُلق متين يجمع أهلها، ويشد بعضهم إلى بعض، ويعطف كل واحد منهم على أخيه، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفُرقة والخلاف أن تتسرب إلى صفوفهم وتنخر عظامهم. إن الدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال، ولكنها تسود وتعلو بالخُلق المتماسك. وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورًا وأدومها أثرًا هو الدين. فهو الذي يجمع الناس على التوادّ والتراحم ويقيهم ما طبعت عليه النفس البشرية من الشحّ، ويكفّ بعضهم عن بعض" (حصوننا مهددة من الداخل: ص١٧).

وإذا نظرنا اليوم لكمّ المؤامرات على دول الإسلام لرأينا كمًّا لا يُستهان به من المكر والخديعة والحروب الباردة الدفينة. وهذا الحروب لها بواعث شنيعة لا بد من معرفتها وتجلية أهدافها.

قال الأستاذ عبد الرحمن حبنّكة: "سجّل تاريخ الإنسان القديم والحديث أنواعًا من التسلط المادي المرتبط بالدوافع والغرائز الفردية لذوي سلطان الأرض، أو الدوافع والغرائز الجماعية لأمم وشعوب، وكان منها أمثلة مفرطة في الهمجية، وأمثلة دون ذلك، وكان منها أمثلة مقنعة بأثواب نفاق مزورة، تدعي الرقي والتهذيب، وهذه أكثرها مكرًا وأبعدها غورًا، وأطولها مدة استقرار في البلد المغلوب على أمره.

وأهداف هذه الأنواع من التسلط لا تعدو أن تكون

Upload by : altawhedmag.com

أهدافًا توسوس بها مطامع النفوس وشهواتها وغرائزها ونزواتها وأهوائها وأحقادها... وباستطاعتنا أن نكشف الغطاء عن طائفة من البواعث النفسية الأنانية، التي تدفع مجرمي التسلط المادي المدنس بالمطامع والشهوات والأهواء والغرائز والنزوات والأحقاد السود، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب.

فلدى البحث النظري والبحث التاريخي يتبين لنا عدد من هذه البواعث، ونذكر منها البواعث التالية:

١- الباعث الأول: الرغبة بإشباع الشهوة إلى الحكم والسلطان، وحبّ الاستيلاء على كل شيء، وهذه نزعة ربوبية تتحكم ببعض النفوس البشرية.

٢- الباعث الثاني: الرغبة بابتزاز الأموال، والاستيلاء على مصادر الثروات إما حبًا بالمال وافتتانًا به واستزادةً منه، وإما لتسخيره في تنمية القوة أو تحقيق مطالب الأنفس وشهواتها.

٣- الباعث الثالث: الرغبة باحتلال أرض ذات مُناخ أجود أو طبيعة أجمل من أرض الطامع بالتسلط، طلبًا للمتعة، أو حبًا للتفاخر والتكاثر بين الناس. أو الرغبة باحتلال أرض ذات مركز له أهمية تجارية أو سياسية أو عسكرية أو دينية في العالم.

٤- الباعث الرابع: الرغبة بتسخير الشعب المطموع به في الأعمال المدنية الزراعية أو الصناعية أو العمرانية أو غيرها، أو تسخيره في الأعمال العسكرية؛ وذلك بتجنيد مقاتليه لقتال أعداء قوة التسلط، واستخدامهم في الأغراض التي تقوم بها جيوش هذه القوة.

٥- الباعث الخامس: الرغبة بالتوسع في الأرض للاستيطان أو الاستغلال، ولا تتحقق هذه الرغبة إلا بمزاحمة السكان الأصليين، أو بطردهم من أرضهم، أو بإبادتهم وإفنائهم.

٦- الباعث السادس: التنفيس عن كراهة موروثة وأحقاد قديمة، والرغبة بالانتقام من أمة من الأمم، أو دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب الفكرية والاجتماعية، التي كان لها نفوذ ما عليهم أو على أسلافهم في حقبة من الزمن ويكون هذا التنفيس ضد العقائد والمذاهب بمحاولات هدم العقائد والمذاهب الصالحة، ونشر الأفكار الفاسدة الضارة، واحلالها محلها.

٧- الباعث السابع: الرغبة بإرضاء نوازع الحسد الذي يأكل قلوب طائفة من مجرمي التسلط، ولا تتحقق هذه الرغبة إلا بسلب كل أسباب النعمة التي يتمتع بها المحسودون، وذلك عن طريق استخدام القوة وبسط السلطان، أو عن طريق المداهمة بالغارات العدوانية واتلاف أسباب النعمة التي أثارت داء الحسد في نفوس الباغين.

٨- الباعث الثامن: خوف صاحب السلطان على سلطانه من القوة التي يتمتع بها قادته وضباطه وجنوده، فيحاول أن يتخلص منهم بتوجيه طاقاتهم الحربية لقتال شعوب غير خاضعة لسلطانه، ويغريهم باستباحة أموالهم ونسائهم وذراريهم إذا ظفروا بهم وغرضه من ذلك شغلهم أو صرفهم عن التفكير بإزاحته واحتلال مركزه وتدبير المؤامرات ضده.

٩- بواعث متفرقة: وتوجد بواعث أخرى متفرقة، لا قيمة لها بذاتها عند الناس، إلا أن بعض ظروف الاحتكاك والتنافس المصحوب برعونات فكرية ونفسية جاهلية، قد تولدت مضاعفات غضبيّة وحميّات وعصبيات تؤدي إلى العدوان فالتسلط. وقد تتذرع بعض هذه البواعث بذرائع التفوق العرقي أو الحق الإلهي، كمطامع هتلر وموسوليني، وكمطامع اليهود الذين يخططون لحكم العالم، زاعمين أنهم شعب الله المختار.

١٠- اجتماع عدة بواعث للعدوان: فقد تجتمع عدة بواعث للقيام بعدوان أمة على أمة وظاهرُ

Upload by : altawhedmag.com

أن أيّ باعث من هذه البواعث لا يُعتبر مشرفًا في مستوى المجد الإنساني، والقيَم الأخلاقية الكريمة، لأي متحرك به، ولذلك نلاحظ أن معظم الذين يتحركون بواحد أو أكثر منها لقتال الأمم والشعوب عدوانًا وظلمًا -بغية التسلط عليها، للانتقام منها، أو للظفر بما لديها من نعم وخيرات مادية أو معنوية- لا يُعربون عن بواعثهم الحقيقية، وإنما يجعلون فوقها أقنعة مزوّرة، ويسوقون دونها المبررات الكثيرة الكاذبة، لتغطية الأهداف الحقيقية لتحركاتهم، وقد يفتعلون مثيرات الغضب لتأتي تحركاتهم العدوانية في لباس المؤدب، أو في لباس المنتقم.

ومن المبررات التي اصطنعتها الدوائر الاستعمارية لصور الاستيلاء الذي فرضته على أمم وشعوب كثيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مزاعمُ التمدين والتحضير والتعليم والمساعدات الصحية والاجتماعية، والحقيقة أن معظم هذه المزاعم لم تكن إلا ستائر فقط، والغرض منها خداع الرأي العام العالمي، وتخدير الشعوب التي ستدفع ضريبة استكانتها وذلّها، من أموالها ورجالها ودمائها وذراريها ومبادئها وعقائدها وأخلاقها... وقد اكتوى العالم الإسلامي وما زال يكتوي بنيران قوى التسلط عليه، المباشر أو غير المباشر، من المعسكرين الغربي والشرقي. (أجنحة المكر الثلاثة: ص٧١٥، وما بعدها).

وقد بيَّن علماء الإسلام ارتباط المادة بالأخلاق والنفوذ والسيادة بهيمنة الدين على العقول والآراء، فلن تستقيم حياة البشرية إلا بمنهج رباني وليس بمخطط وضعي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع؛ فإنه بين حركتين؛ حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنًا. وليس المراد بالشرع التمييز بين الضارّ والنافع بالحسّ؛ فإن ذلك يحصل للحيوانات العُجم؛ فإن الحمار والجمل يُميّز به بين الشعير والتراب بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد؛ والعدل والبر والتصدق والإحسان؛ والأمانة والعفة؛ والشجاعة والحلم؛ والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى المماليك والجار؛ وأداء الحقوق؛ وإخلاص العمل لله والتوكل عليه؛ والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به؛ والتسليم لحُكمه والانقياد لأمره؛ وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه؛ وخشيته في الغيب والشهادة؛ والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه؛ واحتساب الثواب عنده؛ وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به؛ وطاعته في كل ما أمروا به؛ مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته؛ وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته. ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضارّ في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منّة عليهم: أن أرسل إليهم رسله؛ وأنزل عليهم كتبه؛ وبيّن لهم الصراط المستقيم. ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومَن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم. (مجموع الفتاوى: ١٩/ ٩٩).

فمهما استعلنت المذاهب المادية الإلحادية وتزخرفت، ومهما تعددت الأفكار وتنكرت فلن تغنِ عن الدين القويم والمنهج الرباني العظيم.

فاللهم مسّكنا بدينك وأصلح عبادك، ومكّن للصالحين في أرضك. آمين

Upload by : altawhedmag.com